الزواجر عن اقتراف الكبائر

أن كتاب ... واحد عل...
افتتاح ف كتب ... الشيخ
ابن محمد علي رحمه الله تعالى عليه
رحمة واسعة



بسم الله الرحمن الرحيم والاختتام بكرمه العميم

الحمد لله الذي حمى من اجل رأفته بعباده وعزته المنزهة عما لا يليق بجلال ذاته
وكمال عزته حمى حومة الكبائر والفواحش والمناهي والمفاسد والشهوات والملاهي
والاهوية والقبائح والمعاصي بقواطع النصوص والزواجر ونواميس عدله
القواصم الفواقر عن ان يلموا بذلك الحمى الوعر سبله واثاره المضرمة جحيمه ونيرانه
المحترقة رواده وزواره اذ لم يخشوا من غضب رب الارباب الموجب لمن حل به
بعظيم العقاب والخلود في خزي الهوان والعذاب ولم يطمعوا في المبادرة الى
سوابغ رحمته ورضاه وافضاله عن كل من اطاع بما يحبه ويتمناه وتوفيقه الى ما
يبلغ الى دار كرامته ومحياه ولم يؤثروا التقديم مراده ولا اخذوا اعمالا من حبه
ولا احرزوا قصب السبق في داري معاشه ومعاده واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة افوز بها من معاطبه القاطعة عن جنابه واتبوأ بالاخلاص
فيها غرف دنه مع الكمل من احبابه واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي امرنا
بامتثال اوامره واجتناب النواهي في سائر الحالات صلاة وسلاما ذائعين
بدوام الاقدس عطرين بعبوت شذاه الاطيب ... وكذا على آله وتابعيهم
باحسان الى يوم الدين الذي كما يدين كل احد به يدان ويقال هل للمعاصي جزاء العصيان
الا الخزي والهوان وللمحسن هل جزاء الاحسان الا الاحسان اما بعد
فانه كان يختلج في نفسي اثناء سنة ثلاث وخمسين وتسعماية مدة مديدة وازمنة
عديدة ان اولف كتابا في بيان الكبائر وما يتعلق بها حكما وزواجرا ووعدا
ووعيدا وان امد في تهذيب ذلك وتنقيحه وتوضيحه باعا طويلا مديدا وان ابسط
بسطا مفيدا وان اطنب في ادلته اطنابا حميدا لكني كنت اقدم رجلا واوخر اخرى
لما انه ليس عندي مواد ذلك بلام الترجي الى ان ظفرت بكتاب منسوب في ذلك لامام
عصره استاذ اهل عصره الحافظ ابي عبد الله الذهبي فلم يشف
الاوام ولا اغنى عن ذلك المرام لما انه استروح استرواحا يخرج برتبة عن مثله واورد فيه
احاديث وحكايات لم يعز كلا منهما الى محله مع عدم امعان النظر منه فيتبع كلام الائمة
في ذلك وعدم التعويل على كلام من سبقه الى تلك المسالك فدعاني ذلك مع ما تفاحش من
ظهور الكبائر وعموم الفتنة الاكثر منها في باطن وظاهر لما ان ابناء الزمان واخوان
اللهو والنسيان قد غلبت عليهم دواعي الغفلة والخلود الى ارض الشهوات والعقوبات
والركون الى دار الغرور والاعراض عن دار الخلود ونسيان العواقب وعدم المبالات بالمعاطب

حتى كأنهم أمنوا عقاب الله [illegible] الى [illegible] انما هو ليحق عليهم فتهزوا الى
الشروع في تأليف يتكفل بما قصدته ويشتمل بحسب الإمكان على جميع ما قدمته ويكون إن شاء الله في هذا
الباب زاجرا أي زاجر وواعظا وآمرا أي آمر وواعظ وأي واعظ ثم **سميته الزواجر**
عن اقتراف الكبائر وأرجو إن شاء الله أن ينفع الله به البادي والحاضر وأن
يجعله سببا للتطهير للباطن والظاهر إنه هو حسبي ونعم الوكيل وإليه أفزع في الكثير والقليل
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم ما شاء الله لا قوة إلا بالله **ورتبته على مقدمة**
في تعريف الكبيرة وما وقع للناس في عدها وما يتعلق بذلك **وبابين**
الأول في الكبائر الباطنة وما يتبعها مما ليس له مناسبة بخصوص
أبواب الفقه **والثاني في الكبائر الظاهرة** وأرتب هذه على
ترتيب أبواب فقهاء الشافعية لما في ذلك من تيسير الكشف عليها في محالها وأما
تفاصيل ما بينها [illegible] كل منهما بذكر ما يدل عليه ويهدي إليه
وخاتمة في ذكر فضائل التوبة وإنما ذكر شروطها ومتعلقاتها [illegible]
[illegible] ذكره في باب الشهادات ثم في ذكر النار وصفاتها وما اشتملت عليه من
أنواع الزواجر والعقاب الأليم ثم في ذكر الجنة وصفاتها وما اشتملت عليه من أنواع
المفاخر والثواب والنضرة والنعيم فيكون ذلك من أكبر الدواعي إلى اجتناب الكبائر
المؤدية إلى النار [illegible] بعضها [illegible] الخشية [illegible] الدخول إلى ذلك السعير ومقاساة
ما فيه من الجحيم والتشويق [illegible] إلى الفوز بذلك النعيم المقيم والخلود في
رضوان الله الأكبر ذلك الفوز العظيم جعلنا الله من أهله وأدام علينا سوابغ جوده
وفضله وختم لنا بالحسنى وبلغنا من فضله المقام الأرفع الأسنى إنه على كل شيء قدير
وبالإجابة جدير آمين **المقدمة** اعلم أن جماعة من الأئمة أنكروا أن في
الذنوب صغيرة وقالوا بل سائر المعاصي كبائر منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني
والقاضي أبو بكر الباقلاني وإمام الحرمين في الإرشاد وابن القشيري في المرشد بل
حكاه ابن فورك عن الأشاعرة واختاره في تفسيره فقال معاصي الله عندنا كلها كبائر
وإنما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها ثم أول الآية أي قوله
إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه [illegible] وقالت المعتزلة الذنوب
على قسمين صغائر وكبائر وهذا ليس بصحيح انتهى وربما ادعى في موضع اتفاق
الأصحاب على ما ذكره واعتمد ذلك أيضا السبكي وقال القاضي عبد الوهاب لا يمكن

ان يقال في معصية انها صغيرة الا على معنى انها تكفر باجتناب الكبائر ويوافق
هذا القول ما رواه الطبراني عن ابن عباس لكنه منقطع انه ذكر عنده الكبائر فقال كل
ما نهى الله عنه فهو كبيرة وفي رواية عن كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة وقال جمهور
العلماء ان المعاصي تنقسم الى صغائر وكبائر ولا خلاف بين الفريقين في المعنى
وانما الخلاف في التسمية والاطلاق لاجماع الكل على ان من المعاصي ما
يقدح في العدالة ومنها ما لا يقدح فيها وانما الاولون فروا من هذه التسمية فكرهوا
تسمية معصية الله صغيرة نظرا الى عظمة الله تعالى وشدة عقابه واجلالا لله
عز وجل عن تسمية معصية صغيرة لانها بالنظر الى باهر عظمته كبيرة اي كبيرة ولم
ينظر الجمهور الى ذلك لانه معلوم بل قسموها الى صغائر وكبائر لقوله تعالى
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان فجعلها رتبا ثلثة وسمى بعض المعاصي
فسوقا دون بعض وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا
اللمم الآية وسيأتي في الحديث الصحيح الكبائر سبع وفي رواية تسع وفي الحديث
الصحيح ايضا ومن كذا الى كذا كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر فخص الكبائر
ببعض الذنوب ولو كانت الذنوب كلها كبائر لم يسغ ذلك ولان ما عظمت
مفسدته احق باسم الكبيرة على ان قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم صريح في انقسام الذنوب الى كبائر وصغائر ولذلك قال الغزالي
لا يليق انكار الفرق بين الكبائر والصغائر وقد عرفا من مدارك الشرع ثم
القائلون بالفرق بين الكبيرة والصغيرة اختلفوا في حد الكبيرة ولاصحابنا في
حدها وجوه **احدها** انها ما لحق صاحبها عليها بخصوصها وعيد شديد بنص
كتاب او سنة هذه عبارة الروضة واصلها وغيرهما وحذف بعض المتأخرين
تقييد الوعيد بكونه شديدا وكانه نظر الى ان كل وعيد من الله تعالى لا يكون الا
شديدا فهو من الوصف اللازم وخرج بالخصوص ما اندرج تحت عموم فلا يكفي
ذلك في كونه كبيرة بخصوصه قيل وكون الوعيد لا يكون الا في الكتاب او السنة لم
يحتج الى التصريح بذلك في الحد انتهى وليس كذلك لان قولهم بنص كتاب او
سنة مصرح بذلك **ثانيها** انها كل معصية اوجبت الحدود وبه قال
البغوي وغيره وقال الرافعي ان الوجهان اكثر ما يوجد لهم وهم الى ترجيح
هذا اميل ولكن الاول اوفق لما ذكروه في تفصيل الكبائر اي لانهم عدوا من
الكبائر كثيرة ولا حد فيها كاكل الربا ومال اليتيم والعقوق وقطع الرحم والسحر

والنميمة وشهادة الزور والسعاية والقوادة والدياثة وغيرها وبهذا يعلم
ان الحد الاول اصح من الحد الثاني وان قال الرافعي انهم الى ترجيحه اميل
واخذ منه صاحب الحاوي الصغير وغيره انه الراجح فجزم به ثم رايت الاذرعي
صرح بما ذكرته فقال عجيب قول الشيخين ان الاصحاب الى الثاني اميل وهو في
غاية البعد انتهى لكن اذا اول ان مراد قائلها عد المنصوص عليه وان لم يكن فيه
حد خف بعده واندفع الايراد عليه بان في الصحيحين تسمية العقوق وشهادة
الزور كبيرتين مع انه لا حد فيهما على انه يرد على الاول ايضا بعض ما ياتي مما علم
انه كبيرة وما [illegible] يرد فيه وعيد شديد وسياتي عن ابن عبد السلام ذكر انواع من الكبائر
اتفاقا مع انه لم يرد فيها نص بذلك **ثالثها** انها كل ما نص الكتاب على تحريمه
او وجب في جنسه وترك فريضة توجب حدا فورا والكذب في الشهادة والرواية
واليمين زاد الهروي وغيره اشرافه وشريح في روضة وكل قول خالف الاجماع العام
رابعها قال الامام وغيره كل جريمة على ما نقله الرافعي وعبارة ارشاده جريمة
تؤذن اي تعلم بقلة اكتراثه اي اعتنا مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي
مبطلة للعدالة بل في حسن الظن ظاهرا بصاحبها لا يحبط العدالة قال وهذا
احسن ما تميز به احد الضدين على الآخر انتهى ولهذا تابعه ابن القشيري في
المرشد واختاره الامام السبكي وغيره وفي معناه قول في نهاية الصادر من
الشخص ان دل على الاستهانة لا بالدين ولكن بغلبة التقوى وترجي غلبة
رجاء العفو فهو كبيرة وان صدر عن قلة خاطر او لفتة ناظرة فصغيرة ومعنى قوله
لا بالدين اي لا باصله فان [illegible] الاستهانة باصله كفر ومن ثم عبر في الاول بقلة
الاكتراث ولم يقل بعدم الاكتراث والكفر وان كان اكبر الكبائر فالمراد تفسير غيره
مما يصدر من المسلم قال البرماوي ورجح المتاخرون مقالة الامام لحسن
الضبط بها لعلها واقية بما ورد في السنة من تفصيل الكبائر الآتي بيانها وما
لحق بها بيانا انتهى وكانه لم ير منازعة الاذرعي فيما قاله الامام فانه قال
واذا تاملت بعضها عد من الصغائر لم تفتت فيما اطلقه انتهى وكانه اخذ
ذلك من اعتراض ابن الدم ضابط النهاية بانه مدخول وبينه بما بسطه عنه الخ
على انك اذا تاملت كلام الامام الاول ظهر لك انه لم يجعل ذلك حد الكبيرة
خلافا لمن فهم فيه ذلك لانه يشمل صغائر الخسة وليست بكبائر وانما ضبط به
ما يبطل العدالة من المعاصي الشامل لصغائر الخسة نعم هذا اشمل من التعريفين

الاولين لصدقه على سائر مفردات الكبائر الآتية ولكنه غير مانع لما علمت انه يشمل صغائر
الحسية ونحوها كالاصرار على الصغائر ولما نقل البرماوي عن الرافعي الاوجه السابقة
قال بعض المحققين ينبغي ان يجمع هذه التعاريف كلها ليحصل بها استيعاب الكبائر
المنصوصة والمعتبية لان بعضها لا يصدق عليه هذا وبعضها لا يصدق عليه الآخر
قلت لكن تعريف الامام لا يكاد يخرج عنه شيء منها لمن تامله انتهى وقال في الخادم
بعد ايراده ما مر عن الرافعي التحقيق ان كل واحد من هذه الاوجه اقتصر على بعض
انواع الكبيرة وان مجموع هذه الاوجه يحصل به الضابط الكبيرة انتهى ولهذا قال
الماوردي الكبيرة ما اوجب الحد او توجه اليه الوعيد وقال ابن عطية كل ما وجب
فيه حد او ورد فيه توعد بالنار او جاءت فيه لعنة وسياتي عنه ذلك عن ابن الصلاح
وغيره واعترض قول الامام وكل جريمة لا تؤذن الى آخره بان من الحكم على غصب
ما دون نصاب السرقة انه صغيرة ولا يحسن في نفوس الناس النظر فكان القياس
ان يقول كبيرة وكذلك قبلة الاجنبية صغيرة ولا يحسن في نفوس الناس النظر
بان كون هذين صغيرتان على قول يجمع كما يأتي فيهما واما على مقابله الآتي انهما
كبيرتان فلا اعتراض وانما يحسن ان لو اتفقوا على صغيرة وانها مما يسوء ظن
اكثر الناس بما عليها **خامسها** انها ما اوجب الحد او توجه اليه الوعيد
والصغيرة ما قل فيه اثمه ذكره الماوردي في فتاويه **سادسها** انها
كل محرم لعينه منهي عنه لمعنى في نفسه فان فعله على وجه يجمع وجهين او وجوها
من التحريم كان فاحشة فالزنا كبيرة وبحليلة الجار فاحشة والصغيرة تعاطي ما
تنقص رتبته عن رتبة المنصوص عليه او تعاطيه على وجه دون المنصوص عليه
فان تعاطاه على وجه يجمع وجهين او وجوها من التحريم كان كبيرة فالقبلة واللمس
والمفاخذة صغيرة ومع حليلة الجار كبيرة كذا نقله ابن الرفعة وغيره عن القاضي
حسين عن الحليمي وسياتي بسط عبارته في محلها وانه اختار انه ما من ذنب الا وفيه
صغيرة وكبيرة وقد تنقلب الصغيرة كبيرة بقرينة تضم اليها وتنقلب الكبيرة فاحشة
بقرينة تضم اليها الا الكفر بالله فانه افحش الكبائر وليس من نوعه صغيرة ثم مثله
لذلك بامثلة تاتي في محالها في الكلام عليها **وسابعها** انها كل فعل
نص الكتاب على تحريمه اي بلفظ التحريم وهو اربعة اشياء اكل لحم الميتة والخنزير
ومال اليتيم ونحوه والفرار من الزحف ورد بمنع الحصر في الاربعة **ثامنها**
ان لا حد لها يحصرها يعرفه العباد وعليه الواحدي من اصحابنا في بسيطه فقال الصحيح

ان الكبيرة

ان الكبيرة ليس لها حد لتعرفها العباد به والا لاقتحم الناس الصغائر واستباحوها
ولكن الله اخفى ذلك عن العباد ليجتهدوا في اجتناب المنهي عنه رجاء ان تجتنب
الكبائر ونظائره اخفاء الصلاة الوسطى وليلة القدر وساعة الاجابة ونحو
ذلك انتهى وليس كما قال بل الصحيح ان لها حدا معلوما كما مر ثم رايت
بعضهم نقل عن هذه المقالة لكن على وجه يخف به الاعتراض عليه فقال قال الواحدي
المفسر الشافعي وغيره الكبائر كلها لا تعرف اي لا تنحصر قالوا لانه ورد وصف انواع
من المعاصي بانها كبائر وانواع انها صغائر وانواع لم توصف بشيء منهما
وقال الاكثرون انها معروفة واختلفوا هل تعرف بحد وضابط او بالعد
انتهى وحد اما ذكرنا عن الاصحاب عبارات للمتاخرين وغيرهم منها
قول الحسن وابن جبير ومجاهد والضحاك كل ذنب وعد فاعله بالنار ومنها
قول الغزالي كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف ووجدان ندم تهاونا
واستجراء عليها فهي كبيرة وما يحمل على فلتات النفس ولا ينفك عن ندم يمتزج بها
وينغص التلذذ بها فليس بكبيرة وقال مرة اخرى لا مطمع في معرفة الكبائر مع الحصر
اذ لا تعرف ذلك الا بالسمع ولم يرد واعترض العلائي ما قاله اولا بانه بسط
لعبارة الامام وهو مشكل جدا ان كان ضابطا للكبيرة من حيث هي اذ يرد عليه من
ارتكب نحو الزنا نادما عليه فقضيته انه لا يجزم برد عدالته ولا يسمى كبيرة وليس
كذلك اتفاقا وان كان ضابطا لما عدا المنصوص عليه فهو قريب انتهى قال
الجلال البلقيني كان العلائي فهم ان كلام من ذكر حدا يدخل المنصوص وهذا ممنوع
اي فضابط الغزالي انما هو لما عدا المنصوص عليه فهو قريب وهذا ذكر العلائي
نفسه ان الحدود انما هي لما عدا المنصوص عليه ومنها قول ابن عبد السلام
الاولى ضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه اشعار اصغر الكبائر المنصوص
عليها قال واذا اردت الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب
على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن اقل الكبائر فهي صغيرة والا فكبيرة
انتهى واعترضه الاذرعي فقال وكيف السبيل الى الاحاطة بالكبائر المنصوص
عليها حتى ينظر في اقلها مفسدة وتقيس بها مفسدة الذنب الواقع هذا متعذر انتهى
قال الجلال البلقيني عقب نقله اعتراض الاذرعي هذا ولا يتعذر في ذلك اذا
جمع ما صح من الاحاديث في ذلك انتهى والحق تعذر ذلك لانه وان فرض امكان جمع
جميع الاحاديث في ذلك الا ان الاحاطة بمفاسدها كلها حتى يعلم اقلها مفسدة

في غاية الندور بل التعذر والاستحالة اذ لا يطلع على ذلك الا الشارع صلى الله
عليه وسلم ومما هو منتقد انه قوله اعني ابن عبد السلام من شتم الرب سبحانه او
استهان برسول من رسله صلى الله عليه وسلم او ضمخ الكعبة او المصحف بالقذر كان
مثل ذلك من اكبر الكبائر اذ المراد منه مطلق الكفر اجماعا لا خصوص الشرك
قال الشمس البرماوي وهذا كله بناء على تفسير الكبيرة بالاعم من الكفر وغيره
لا على المعنى الذي سبق عن مقتضى كلام امام الحرمين انتهى وقد قدمت ان
مقتضى كلام الامام وغيره ان الحدود السابقة انما هي لما عدا الكفر وان صح
ان يسمى كبيرة بل هو اكبر الكبائر كما في الحديث ثم قال ابن عبد السلام بعد ما
ذكر وكذلك من امسك امراة محصنة لمن يزني بها او امسك مسلما لمن يقتله فلا شك
ان مفسدته اعظم من مفسدة اكل مال اليتيم وكذلك لو دل الكفار على عورة
المسلمين مع علمه بانهم يستبيحون بدلالته ويسبون حريمهم واطفالهم ويغنمون
اموالهم فان نسبة هذه المفاسد اعظم من التولي يوم الزحف بغير عذر وكذا
لو كذب على انسان وهو يعلم انه يقتل بسبب كذبه واطال في ذلك الى ان قال
وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بان كل ذنب قرن به وعيد شديد او حد او لعن
فهو من الكبائر فتغيير منار الارض اي طرقها كبيرة لاقتران اللعن به فعلى هذا
كل ذنب يعلم ان مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد او اللعن او الحد او كان اكبر
من مفسدته فهو كبيرة انتهى قال ابن دقيق العيد وعلى هذا فيشترط ان لا
تؤخذ المفسدة مجردة عما يقترن بها من امر اخر فانه قد يقع الغلط في ذلك الا
ترى ان السابق الى الذهن في مفسدة الخمر انما هو السكر وتشويش العقل فان
اخذنا بمجرد هذا لزم ان لا يكون شرب القطرة الواحدة منه كبيرة لخلوها عن المفسدة
المذكورة لكنها كبيرة لمفسدة اخرى وهي التجري على شرب الكثير الموقع في
المفسدة فهذا الاقتران يصيره كبيرة انتهى قال الجلال البلقيني وما ذكره
في القطرة من الخمر قاله ابن عبد السلام قبله وقال في قواعده ايضا بعد حكاية
ما سبق لم اقف لاحد من العلماء على ضابط ذلك ولعله اراد ضابطا لا يسلم من
الاعتراض او ضابطا جامعا مانعا انتهى ومنها قول ابن الصلاح
في فتاويه قال الجلال البلقيني وهو الذي اختاره الكبيرة كل ذنب عظم عظما
يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق ولها
امارات منها ايجاب الحد ومنها الايعاد عليه بالعذاب بالنار ونحو

في الكتاب

في الكتاب او السنة ومنها وصف فاعلها بالفسق ومنها اللعن انتهى ولخصه كالذي
قبله شيخ الاسلام البارزي في تفسيره الذي على الحاوي فقال والتحقيق ان
الكبيرة كل ذنب قرن به وعيد او لعن بنص كتاب او سنة او علم ان مفسدته كمفسدة
ما قرن به وعيد او حد او لعن او اكثر من مفسدته او اشعر بتهاون مرتكبه في دينه اشعار
اصغر الكبائر المنصوص عليها بذلك كما لو قتل من يعتقده معصوما فظهر انه مستحق لدمه
او وطئ امرأة ظانا انه زان بها فاذا هي زوجته او امته انتهى وما ذكره آخرا سبقه
اليه ابن عبد السلام في قواعده وما ذكره اولا يؤيده قول ابن عباس الكبائر كل ذنب
ختمه الله بنار او لعنة او غضب او عذاب رواه عنه ابن جرير واعلم انه كل ما سبق
من الحدود انما قصدوا به التقريب فقط والا فهي ليست بحدود جامعة وكيف يمكن
ضبط ما لا مطمع في ضبطه وذهب آخرون الى تعريفها بالعد من غير ضبطها بحد فعن
ابن عباس وجماعة انها ما ذكره الله تعالى في اول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه وقيل هي سبع ويستدل له بخبر الصحيحين اجتنبوا السبع
الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم
واكل الربوا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات
وفي رواية لهما الكبائر الاشراك بالله والسحر وعقوق الوالدين وقتل النفس
زاد البخاري واليمين الغموس ومسلم بدلها وقول الزور والجواب ان ذلك
محمول على انه صلى الله عليه وسلم انما ذكره كذلك قصدا لبيان المحتاج منها وقت ذكره
لا لحصر الكبائر فيه ذلك وممن صرح بان الكبائر سبع علي كرم الله وجهه وعطاء
وعبيد بن عمير وقيل خمس عشرة وقيل اربع عشرة وقيل اربع ونقل عن ابن مسعود
وعنه انها ثلاث وعنه انها عشر وعن ابن عباس كما رواه عبد الرزاق والطبري هي
الى السبعين اقرب منها الى السبع وقال اكبر تلاميذه سعيد بن جبير رضي الله عنهما
الى السبعمائة اقرب يعني باعتبار اصناف انواعها وروى الطبراني هذه المقالة
عن ابن عباس نفسه ان رجلا قال لابن عباس كم الكبائر سبع هي قال هي الى
سبعمائة اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع الاستغفار اي التوبة بشروطها
ولا صغيرة مع الاصرار قال الرملي من اصحابنا وقد ذكرنا عددها في تاليف لنا
باجتهادنا فزادت على اربعين كبيرة فيؤول الى ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
وقال شيخ الاسلام العلائي في قواعده انه صنف جزءا جمع فيه ما نص
صلى الله عليه وسلم فيه على انه كبيرة وهو الشرك والقتل والزنا وافحشه بحليلة الجار

والفرار من الزحف واكل الربوا واكل مال اليتيم وقذف المحصنات والسحر
والاستطالة في عرض المسلم بغير حق وشهادة الزور واليمين الغموس والنميمة
والسرقة وشرب الخمر واستحلال بيت الله الحرام ونكث الصفقة وترك السنة
والتعرب بعد الهجرة واليأس من روح الله والامن من مكر الله ومنع ابن السبيل
فضل الماء وعدم التنزه من البول وعقوق الوالدين والتسبب الى شتمهما
والاضرار في الوصية فهذه الخمسة والعشرون هي مجموع ما جاء في الاحاديث
منصوصا عليه انه كبيرة قلت ويزاد عليه الغلول من الغنيمة ومنع الفحل بل جعله
صلى الله عليه وسلم في حديث البزار من اكبر الكبائر والالحاد بالبيت كما في حديث
البيهقي وهذا غير استحلاله كما هو ظاهر لصدقه بفعل معصية فيه ولو سرا ثم رأيت
الجلال البلقيني قال بعد ذكره ما مر عنه وقد بقي عليه مما جاء في الاحاديث الناصة
اشياء وهي منع الفحل وتعلم السحر وطلب عمله وسوء الظن بالله عز وجل والغلول
والجمع بين الصلاتين بغير عذر اي لكن حديثه ضعيف وبذلك يبلغ المنصوص
عليه ثلاثين كبيرة لكن منع الفحل اسناد حديثه ضعيف ولا يبلغ جزؤه جزء غيره
من الكبائر وانما ذكرناه لتقدم ذكره في الحديث ويقال عليه السرقة لم يجئ في
احاديث النص على انها كبيرة انما جاء فيها الغلول وهو السرقة من مال الغنيمة
نعم في حديث الصحيحين ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن وفي رواية
النسائي فان فعل ذلك فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه فان تاب تاب الله عليه
وقوله ونكث الصفقة لم يجئ في الاحاديث السابقة النص على انه كبيرة وانما
فيه وعيد شديد وقوله وترك السنة لم يأت ايضا في الاحاديث النص على
انه كبيرة وانما روى الحاكم في المستدرك وصححه على شرط مسلم ان نحو المكتوبة
والجمعة ورمضان كفارة الا من ثلث الاشراك ونكث الصفقة وترك
السنة وفسر صلى الله عليه وسلم نكث الصفقة بان تبايع رجلا بيمينك ثم
تخالف عليه فتقاتله بسيفك وترك السنة بالخروج من الجماعة ويعضده
خبر احمد وابي داود من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه
والمراد بذلك اتباع البدع اعاذنا الله منها **ولا باس بالاشارة**
الى تلك الاحاديث وهي نوعان ما صرح فيه بانه كبيرة او
اكبر الكبائر واعظم الذنوب او موبقة او مهلكة او ما ذكر فيه نحو لعن او غضب
او وعيد شديد **فمن الاول** خبر الشيخين الا انبئكم باكبر الكبائر

ثلثا

ثلثا الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور او قول الزور وكان
متكيا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وفي رواية لهما جعل الاولين
من الكبائر وضم القتل اليهما وجعل قول الزور او شهادة اكبر الكبائر وروينا
ايضا اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم
ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني
حليلة جارك وروينا ايضا من الكبائر شتم الرجل والديه قيل وهل يشتم الرجل
والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه وفي رواية البخاري
ان هذه الاخيرة من اكبر الكبائر وفي رواية له ايضا عد الشرك والعقوق و
القتل واليمين الغموس من الكبائر وعد في اخرى الشرك والقتل الا بالحق
واكل مال اليتيم والربوا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات
المؤمنات موبقات وفي رواية صحيحة عد هذه السبع وعقوق الوالدين
المسلمين واستحلال البيت الحرام كبائر وسيأتي روايات ان عدم التنزه
من البول كبيرة وفي حديث البزار وفيه من ضعفه شعبة وغيره ووثقه ابن حبان
وغيره زناوة والانتقال الى الاعراب بعد هجرته وفي اخرى فيها ابن لهيعة و
التعرب بعد الهجرة وفي اخرى فيها ضعيف والرجوع الى الاعرابية بعد الهجرة
وفسر بان يهاجر الرجل حتى اذا وقع سهمه في الفيء ووجب عليه الجهاد خلع ذلك
من عنقه فرجع اعرابيا كما كان واستدل له بعض السلف بقوله ان الذين ارتدوا على
ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ويوافقه نقل ابن سيرين عن عبيدة ان من الكبائر
المرتد اعرابيا بعد هجرته وفي [illegible]ية للطبراني فيها رجل منكر الا اخبركم باكبر
الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان صلى الله عليه وسلم محتبيا فحل
حبوته واخرج صلى الله عليه وسلم لسانه فقال الا وقول الزور وفي اخرى فيها
مدلس الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله ثم قرأ ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما وعقوق الوالدين ثم قرأ ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وكان
متكيا فاحتفز وقال الا وقول الزور واخرج احمد اكبر الكبائر الشرك بالله و
عقوق الوالدين وما حلف حالف بالله يمين صبر فادخل فيها مثل جناح بعوضة
الا جعله الله نكتة في قلبه الى يوم القيمة واخرج البزار بسند فيه ضعيف اكبر
اكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ومنع الفحل
واخرج ابن مردويه بسند فيه ضعيف ايضا اكبر الكبائر عند الله يوم القيمة الشرك

بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق
الوالدين ورمي المحصنة وتعلم السحر واكل الربا واكل مال اليتيم وابن ابي حاتم
انه اي الخمر اكبر الكبائر وام الفواحش من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على امه
وخالته وعمته وورد ايضا ان من اكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم
بغير حق وفي افقه ورواية احمد وابي داود ان من اربى الربا الاستطالة في عرض
المسلم بغير حق والبزار بسند فيه ضعيف من جمع بين صلاتين بغير عذر فقد
اتى بابا من ابواب الكبائر وابن ابي حاتم والبزار انه صلى الله عليه وسلم سئل ما
الكبائر فقال الشرك بالله والاياس من روح الله والامن من مكر الله وهذا اكبر
الكبائر وقيل والاشبه ان يكون هذا الحديث موقوفا والدارقطني الاضرار في
الوصية من الكبائر قال ابن ابي حاتم الصحيح انه موقوف ومن الثاني
خبر مسلم وغيره ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
قال ابو ذر فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث مرات فقلت خابوا وخسروا
من هم قال المسبل ازاره خيلاء، كما في روايات اخر والمنان الذي لا يعطي شيئا
الا منة والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفي رواية لم تعيين هم بشيخ زان
وملك كذاب وعائل مستكبر وفي رواية للشيخين برجل على فضل ماء بفلاة يمنعه
ابن السبيل ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر فحلف بالله لاخذها بكذا وكذا
فصدقه وهو على غير ذلك ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان اعطاه
منها ما يريد وفى له وان لم يعطه لم يف له واخرج احمد ان لله عبادا لا يكلمهم
يوم القيمة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم قيل ومن اولئك يا رسول الله قال متبرئ
من والديه راغب عنهما ومتبرئ من ولده ورجل انعم عليه قوم فكفر نعمتهم وتبرأ
منهم اي الصقوا عليه بالعتق بخبر مسلم من تولى قوما بغير اذن مواليه فعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيمة عدلا ولا صرفا وروى
الشيخان لا يدخل الجنة قتات اي نمام واحمد ثلثة لا يدخلون الجنة مدمن
خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر واحمد والبخاري ثلثة انا خصمهم يوم القيمة
رجل اعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فاكل ثمنه ورجل استاجر اجيرا فاستوفى
منه العمل ولم يوفه اجره واحمد والنسائي لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر
ولا منان واحمد وابن ماجة لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر
واحمد بسند فيه ضعيف لا يدخل الجنة صاحب خمس مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا

قاطع

قاطع رحم ولا كاهن ولا منان ومسلم وغيره لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله
من لعن والديه لعن الله من آوى محدثا لعن الله من غير منار الارض اي طرقها والحكم
وصحح ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء فهذه الاحاديث
هي التي اشار اليها العلائي وغيره من انه نص فيها على بعض الذنوب انه كبيرة او ما
يستلزمها وسيأتي ان شاء الله تعالى بعون الله وقوته عند ذكرنا لتفاصيلها من الاحاديث
ما يزيد على ذلك بكثير ولكن قد قصدنا بتقديم هذه الاشارة الى بيان اصل ما قاله
العلائي وغيره مما اجتنبت كل كبيرة وما جاء فيها فسنبسطه عند ذكرها مفصلة فائدة متى
يسر الله ذلك بمنه وكرمه آمين وقال ابو طالب المكي الكبائر سبع عشرة اربع
في القلب الشرك والاصرار على المعصية والقنوط والامن من مكر الله واربع في اللسان
القذف وشهادة الزور والسحر وهو كل كلام يغير الانسان او شيئا من اعضائه واليمين
الغموس وهي التي تبطل بها حقا او تثبت بها باطلا وثلث في البطن اكل مال
اليتيم ظلما واكل الربوا وشرب كل مسكر واثنان في الفرج الزنا واللواط واثنان
في اليد القتل والسرقة وواحدة في الرجل الفرار من الزحف وواحدة في جميع الجسد
عقوق الوالدين انتهى **خاتمة** في التحذير من جملة المعاصي صغيرها وكبيرها قدمتها
هنا لتكون ان شاء الله تعالى زاجرة عن اقتحام حمى المعاصي والآثام الموجبة للهلاك
والبعد والطرد عن دار السلام والخزي والهوان والذلة والخسران والبوار
والدمار والوبال لا سيما في دار القرار اعلم وفقني الله واياك لطاعته وانالنا
من سوابغ رضاه وهدايته ان الله تعالى حذر عباده من معصيته بما اعلمهم من نواميس
ربوبيته واقامه عليهم من سطوات قهره وجبروته ووحدانيته قال الله تعالى فلما
آسفونا اي اغضبونا انتقمنا منهم وقال تعالى فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا
قردة خاسئين وقال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من
دابة وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقال تعالى ومن يعمل سوءا يجز به ولا يجد
له من دون الله وليا ولا نصيرا والآيات في ذلك كثيرة وفي الحديث الصحيح ان الله
فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت
عن اشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله ان يأتي المؤمن ما حرم الله
وفيهما ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله فلذلك حرم الفواحش

ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله عز وجل وفي الحديث الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا اذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه فان
تاب واستغفر صقل قلبه وان لم يتب زادت حتى يعلو قلبه اي يغشاه وتغطيه تلك
النكتة السوداء فكذلك الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه الى
اليمن اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وعن ابن الجوزي انه
ذكر عن ام سليم ام انس بن مالك رضي الله عنهما انها قالت يا رسول الله اوصني
قال اهجري المعاصي فانها افضل الهجرة وحافظي على الفرائض فانها افضل الجهاد
واكثري من ذكر الله فانه لا يأتي العبد الله بشيء احب الى الله من كثرة ذكره وسأل
ابو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الهجرة [illegible]
افضل قال من هجر السيئات والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وعن حذيفة رضي الله عنه
انه قيل له هل تركت بنو اسرائيل دينهم اي حين عذبوا بانواع العذاب الاليم
كمسخهم قردة وخنازير ودمارهم لتعجيل الغضب قال لا ولكنهم كانوا اذا امروا بشيء
تركوه واذا نهوا عن شيء ارتكبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يا صاحب الذنب لا تأمن سوء ... ولما
يتبع الذنب اعظم من الذنب قلة حيائك من ملكي اليمين والشمال وانت على الذنب
اعظم من الذنب الذي عملته وفرحك بالذنب اذا ظفرت به اعظم من الذنب و
ضحكك وانت لا تدري ما الله صانع بك اعظم من الذنب وحزنك على الذنب اذا
فاتك اعظم من الذنب وخوفك من الريح اذا حركت ستر بابك وانت على الذنب ولا
يضطرب فؤادك من نظر الله اليك اعظم من الذنب ويحك هل تدري ما كان ذنب
سبب ابتلاء ايوب عليه السلام
ايوب عليه السلام فابتلاه الله تعالى بالبلاء في جسده وذهاب ماله انما كان
ذنبه انه استعان به مسكين على ظالم يدرؤه عنه فلم يعنه عليه ولم ينه الظالم عن ظلم
هذا المسكين فابتلاه الله تعالى انتهى والظاهر ان ذلك لم يصح عن ابن عباس
ولو صح وجب تأويله اذ الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون عن
الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها على الصحيح المختار في
الاصول وكانه انما سكت لعجزه عن نصرته ومع ذلك يمكن ان يعتب الله عليه لكونه
ترك الكمال من نصره وان ظن عجزه عنه وقال بلال بن سعيد لا تنظر الى صغر
الخطيئة ولكن انظر من عصيت وقال الحسن يا ابن آدم ترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة

وقال محمد بن كعب القرظي ما عبد الله بشيء احب اليه من ترك المعاصي ويؤيده قوله صلى
الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن
شيء فاجتنبوه فانه قيد الاستطاعة في جانب المأمورات ولم يأت بها في جانب
المنهيات اشارة الى عظيم خطرها وقبح وقعها وانه يجب بذل الجهد والوسع في المباعدة
عنها سواء استطاع ذلك ام لا بخلاف المأمورات فان العجز له مدخل فيها تركا وعزما
فتامل ذلك وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم
عند الله وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله وقيل اوحى الى موسى يا موسى اول
من مات اي هلك وخسر من خلق ابليس وذلك انه اول من عصاني وانما اعد من عصاني
من الاموات وقال حذيفة اذا اذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء حتى يصير
قلبه كله اسود ويؤيده قول السلف المعاصي بريد الكفر اي رسوله باعثا وانها اذا
اورثت القلب هذا السواد وعمه لم يبق يقبل خيرا قط فحينئذ يقسو ويخرج منه
كل رحمة ورأفة وخوف فيرتكب ما اراد ويفعل ما احب ويتخذ الشيطان وليا
من دون الله فيضله ويغويه ويعده ويمنيه ولا يرضى منه بدون الكفر ما وجد له اليه
سبيلا قال الله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا
لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم
فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا
من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا وقال تعالى يا ايها الناس ان وعد
الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وروى احمد في مسنده عن
وهب قال ان الرب تعالى قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل اني اذا اطاعني العبد
رضيت عنه واذا رضيت عنه باركت فيه وفي آثاره وليس لبركتي نهاية واذا عصاني
العبد غضبت عليه واذا غضبت عليه لعنته ولعنتي يبلغ السابع من ولده انتهى
ويؤيده قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا
الله وليقولوا قولا سديدا وقال المفسرون في قوله تعالى مالك يوم الدين
اي الجزاء وفي الحديث كما تدين تدان اي كما تفعل يفعل معك فالقصاص ان لم يكن
فيك اخذ من ذريتك ولذا قال تعالى خافوا عليهم فليتقوا الله فان كان لك خوف
على اولادك واولاد اولادك فالحاق بالمساكين فاتق الله في اكلك كلها لاسيما اذا ولاد

غيرك فان الله تعالى يحفظك في ذريتك وييسر لهم الحفظ والخير والتوفيق ببركة
تقواك ما تقر به عينك بعد موتك وينشرح صدرك واما الظالم اذا لم تتقت السنة اولاد
الناس وتاتي حرمهم فاعلم انك مؤاخذ في ذلك بنفسك وذريتك وان ما فعلته كله
يفعل بهم فان قلت هم لم يفعلوا فكيف عوقبوا بزلات آبائهم والتم تدلهم بمعاصي
اصولهم قلت انهم اتباع لاولئك الاصول فناشئون عنهم والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا واما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري قيل كان ذلك الصالح
هو الجد السابع لام فان قلت قد يجد في فرع العصاة صالحا وبالعكس الا ترى
الى نوح وابن آدم القاتل صلى الله على آدم ونوح وسائر الانبياء والمرسلين
وسلم قلت هذا مع قلته لامر باطن يعلمه الله لو لم يكن منه الا الاعلام بعجز الخلق
حتى الكمل منهم عن هداية اقرب الناس اليهم انك لا تهدي اي توصل من احببت
على ان الذي افادته آية وليخش الذين ان بعض الاصول وبما عوقبت الفروع
ولا يلزم من ذلك بعض استواء الامرين الا ان صلاح الاصول ربما انتفع به الفروع
فليس ذلك امرا كليا فيهما وربما كان للفاسق ظاهرا اعمال صالحة باطنة يثيبه
الله بها في ذريته فتعين الاخذ بقوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وفي مسند احمد ايضا
كتبت عائشة الى معاوية رضي الله عنهما اما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله
عاد حامده من الناس ذاما وقال ابو الدرداء احذر ان تبغضك قلوب المؤمنين
وانت لا تشعر قال الفضيل هو العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب
المؤمنين من حيث لا يشعر ولما ارتكب الدين محمد بن سيرين وحصل له من ذلك غم
شديد قال اني لاعرف سبب هذا الغم اصبت ذنبا منذ اربعين سنة وقال سليمان
التيمي ان رجلا ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته وقال يحيى
ابن معاذ عجبت من ذي عقل يقول في دعائه اللهم لا تشمت بي الاعداء ثم هو
يشمت بنفسه كل عدو قيل له كيف ذلك قال يعصي الله فيشمت به في القيامة كل عدو
وقال مالك بن دينار اوحى الله الى نبي من الانبياء ان قل لقومك لا تدخلوا
مداخل اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم اعدائي وقال الحسن هانوا على الله فعصوه
ولو عزوا عليه لعصمهم وقال ان الرجل اي الكامل ليذنب الذنب فما ينساه لا

يزال

يزال يتخوف منه حتى يدخل الجنة وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال ان المؤمن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر
يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا انظار وعن كعب الاحبار رضي
الله عنه ان رجلا من بني اسرائيل اصاب ذنبا فحزن عليه فجعل يذهب ويجي ويقول
بما ارضي ربي بما ارضي ربي فكتب صديقا وعن عمار بن زادان قال لي كهمس
يا ابا سلمة اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه منذ اربعين سنة قلت ما هو قال زارني
اخ لي فاشتريت له سمكا بدانق فلما اكل قمت الى حايط جار لي فاخذت منه
قطعة طين فغسل بها يده فانا ابكي على ذلك منذ اربعين سنة وكتب عمر بن
عبد العزيز الى بعض عماله اما بعد فاذا امكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر
قدرة الله عليك واعلم انك لا تفعل بهم امرا من الظلم الا كان زايلا عنهم
اي بموتهم باقيا عليك اي عاره ونادمه في الاخرة واعلم ايضا ان الله اخذ
للمظلوم حقه من الظالم واياك واياك ان تظلم من لا ينتصر عليك الا بالله عز وجل
اي فان الله تعالى اذا علم التجا عبده اليه بالصدق والاضطرار انتصر له على الفور
امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال عبد الله بن سلام لما
خلق الله الملايكة ورفعت روسها الى السما قالت ربنا مع من انت قال
مع المظلوم حتى يؤدي اليه حقه وقال بعض السلف يا اهل المعاصي لا تغتروا
بطول حلم الله عليكم واحذروا اسفه اي غضبه بسبب المعاصي قال تعالى فلما
آسفونا انتقمنا منهم وقال يعقوب القاري رايت في النوم رجلا ادم اي اسمر
طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قالوا اويس القرني فاتبعته فقلت
اوصني رحمك الله فكلح اي عبس في وجهي فقلت مسترشد فارشدني ارشدك الله
فاقبل علي وقال ابتغ رحمة الله عند طاعته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع
رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني وفي التورية يا بني اسرائيل اني كنت
احبكم فلما عصيتموني ابغضتكم وعن عبد الله بن زيد قال غزينا البحر فمررت بالمقابر
فاذا انا برجل قد خرج من قبره في سلسلة فاذا رجل اخذه بالسلسلة فجذبه
حتى رده الى قبره قال فسمعته يضربه وهو يقول الم اكن اصلي الم اكن اغتسل من
الجنابة الم اكن اصوم قال بلى ولكنك كنت اذا خلوت بالمعاصي لم تراقب
الله تعالى وقال ابراهيم التيمي كنت كثير التردد الى المقابر اذكر الموت
وبها فبينما انا ذات ليلة بها اذ غلبتني عيناي فنمت فرايت قبرا قد انشق

وسمعت قايلا يقول خذوا هذه السلسلة فاسلكوها فيه واخرجوها من دبره
واذا الميت يا رب الم اكن اقرأ القرآن الم احج بيتك الحرام ثم جعل يعيد ذلك حال
البرشيا بعد شيء واذا قايل يقول كنت تفعل ذلك ظاهرا فاذا خلوت
بارزتني بالمعاصي ولم تراقبني وعن عبد الله بن المديني قال كان لنا صديق
فقال خرجت الى ضيعتي فادركتني صلاة المغرب فاتيت الى جنب مقبرة
فصليت المغرب قريبا منها فبينا انا جالس اذ سمعت من ناحية القبور
انينا فدنوت الى القبر الذي سمعت منه الانين آه قد كنت اصوم قد
كنت اصلي فاصابني قشعريرة فدعوت من حضرني فسمع مثل ما سمعت ومضيت
الى ضيعتي ورجعت ليتي في اليوم الثاني وصليت في موضعي الاول
وصبرت حتى غابت الشمس وصليت المغرب ثم استمعت الى ذلك القبر
فاذا هو يانت ويقول آه قد كنت اصلي قد كنت اصوم فرجعت الى منزلي
ومرضت بالحمى شهرين واقول قد وقع لي نظير ذلك وذلك اني كنت

بحث خوف الله تعالى وعقابه

وانا صغير اتعاهد قبر والدي رحمه الله للقراءة عليه فرجعت يوما بعد صلاة
الصبح بغلس في رمضان بل اظن ان ذلك كان في العشر الاخير بل في ليلة
القدر فلما جلست على قبره وقرات شيئا من القرآن ولم يكن في المقبرة احد
غيري فاذا انا اسمع الشاقة العظيم والانين الفظيع باه آه آه
وهكذا بصوت ازعجني من قبر مبني بالنورة والجص له بياض عظيم
فقطعت القراءة واستمعت فسمعت صوت ذلك العذاب من داخله
وذلك الرجل المعذب يتاوه تاوها عظيما بحيث يقلق سماعه القلب
وفي عرفا استمعت اليه زمنا فلما وقع الاسفار خفي حسه عني فمر بي انسان
فقلت قبر من هذا قال هذا قبر فلان لرجل ادركته وانا صغير وكان على
غاية من ملازمة المسجد والصلوات في اوقاتها والصمت عن الكلام
وهذا كله شاهدته وعرفته منه فكبر على الامر جدا لما اعلمه من احوال الخير التي
كان ذلك الرجل متلبسا بها في الظاهر فسالت واستقصيت الذين يطلعون
على حقيقة احواله فاخبروني انه كان ياكل الربوا فانه كان تاجرا ثم كبر
وبقي معه شيء من الحطام فلم ترض نفسه الظالمة الخبيثة ان تاكل من جنبه
حتى ياتيه الموت بل سول له الشيطان محبة المعاملة بالربوا حتى لا ينقص
ماله فاوقعه في ذلك العذاب الاليم حتى في رمضان حتى في ليلة القدر

ولما

ولما حكيت ذلك لاهل بلدة قال لي اعجب منه عبد الباسط رسول القاضي
فلان فان هذا الرجل اعجب منه ايضا وكان رسولا للقضاة اول امره ثم صار ذا ثروة
فهلكت وماشانه قال لما حفرنا قبره لننزل عليه ميتا اخر رأينا في رقبته سلسلة
عظيمة فلما نبينا نكشف السلسلة اسود عظيما مربوطا معه في تلك السلسلة وهو
واقف على راسه يريد نهشه بانيابه واطفاره فخفنا خوفا عظيما وبادرنا برد
التراب على الارض قال ورأينا فلانا عن رجل آخر لما حفرنا قبره لم يبق منه الا
جمجمة راسه فاذا فيها مسامير عظيمة المقدار في بعض الرؤوس مدقوقة فيها كانها باب
عظيم قالوا وحفرنا عن فلان فخرجت لنا حية عظيمة من قبره ورأيناها مطوقة به فبادرنا
دفنها عنه ونفست علينا حتى كدنا نهلك عن آخرنا فنعوذ بالله من عذاب القبر
الناشي عن غضب الله ومعصيته وقال سليمان بن عبد الجبار اذنبت
ذنبا فاحتقرته فاتيت في منامي فقيل لي لا تحقرن من الذنوب شيئا وان كان
صغيرا ان الصغير عندك اليوم يكون كبيرا غدا عند الله وقال علي بن سليمان
الانطاكي رايت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام على حلقة الحج وصوته بها
وهو يقول لولا الذين لهم ورد يقومونا ، وآخرون لهم سرد يصومونا ، لدكدكت
ارضكم من تحتكم سحرا ، لانكم قوم سوء لا تطيعونا ، واعلم ان اعظم زاجر عن
الذنب وهو خوف الله تعالى وخشية انتقامه وسطوته وحذر عقابه وغضبه وبطشه
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم جاء انه
صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله
يا رسول الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب
عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف وعن وهيب بن الورد
قال كان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم يقول حب
الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر على المعصية ويبعدان العبد من لذات الدنيا
وشهواتها ومعاصيها وعن الحسن قال والله لقد مضى بين ايديكم اقوام لو انفق
احدهم عدد الحصى ذهبا يخشى انه لا ينجو لعظم الذنب في نفسه وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل تسمعون ما اسمع اطّت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي
بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك ساجد لله تعالى عليه او قائم او راكع
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم او لصعدتم الى الصعدات
او الجبال تجارون الى الله تعالى اي خوفا من عظيم سطوته وشدة انتقامه

وفي رواية لا تدرون تنجون او لا تنجون وقال بكر بن عبد الله المزني من
اتى الخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وفي الحديث لو يعلم المؤمن بكل
الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار وفي الصحيحين قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين انزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا معشر
قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شيا يا بني عبد مناف لا اغني
عنكم من الله شيا يا عباس عم رسول الله لا اغني عنك من الله شيا يا صفية عمة
رسول الله لا اغني عنك من الله شيا يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت
لا اغني عنك من الله شيا وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله الذ
يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون يا رسول الله هو الذي
يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال لا يا بنت ابي بكر يا بنت
الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ان لا يتقبل منه
وقيل للحسن البصري يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالسة قوم يخوفوننا حتى
تكاد قلوبنا تطير فقال له انك والله ان تصحب قوما يخوفونك حتى تدرك
امنا خير لك من ان تصحب اقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف ولما طعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقربت وفاته قال لابنه ويحك ضع خدي على
الارض لا ام لك وويلي وويل امي ان لم يرحمني وقال له ابن عباس ما هذا
الخوف يا امير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك الامصار وفعل بك
وفعل قال وددت ان انجو لا علي ولا لي وفي رواية لا اجر ولا وزر وكان
زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا توضا وفرغ من وضوئه اخذ
رعدة فقيل له في ذلك فقال ويحكم اتدرون الى من اقوم ولمن اريد ان اناجي
وقال احمد بن حنبل الخوف يمنعني من اكل الطعام والشراب فلا اشتهيه
وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل
عرشه يوم لا ظل الا ظله رجلا ذكر الله اي وعيده وعقابه خاليا ففاضت
عيناه اي خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب وفي حديث ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عينان لا تمسهما النار عين بكت في جوف
الليل من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله وفي حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل عين باكية يوم القيمة الا عينا غضت عن
محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله وعينا يخرج منها مثل راس الذباب

فضل البكاء من خشية الله تعالى

من خشية الله

من خشية الله واخرج الترمذي وقال حسن صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج اي لا يدخل النار رجل بكى من خشية الله حتى
يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم وقال عبد الله بن
عمرو بن العاص رضي الله عنهما لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان اتصدق
بالف دينار وقال عون بن عبد الله بلغني انه لا يصيب دموع الانسان من خشية الله
مكانا من جسده الا حرم الله ذلك المكان على النار وكان لصدر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ازيز كازيز المرجل من البكاء اي فوران وغليان كغليان القدر على النار
وقال الكندي البكاء من خشية الله تطفي الدمعة منه امثال البحار من النار وكان
ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين
ومع ذلك الجنة تطمعين ان تدخليها هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم اعمال
غير ما نحن عاملون وعن سفيان الثوري قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن
رسول الله اوصني قال يا سفيان لا مروة لكذوب ولا راحة لحسود ولا اخا لملوك
ولا سؤدد لسيء الخلق قلت يا ابن رسول الله زدني قال يا سفيان كف عن محارم الله
تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن مسلما واصحب الناس بما تحب ان يصحبوك
به تكن مؤمنا ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره اي للحديث المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل وشاور في امرك الذين يخشون الله قلت يا ابن رسول الله
زدني قال يا سفيان من اراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية
الله الى طاعة الله قلت يا ابن رسول الله زدني قال ادبني ابي بثلث قال لي
اي بني انه من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا
يملك لسانه يندم وقال ابن المبارك سالت وهيب بن الورد ايجد طعم العبادة
من يعصي الله قال لا ولا من يهم بمعصية الله وقال الامام ابو الفرج بن الجوزي
الخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما
يكف عن المعصية ويحث على الطاعة **وكيف لا يكون**
الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة
والاعمال الفاضلة التي يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى اما بطريق الاقتباس
الحكايات والاخبار فكقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقوله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقوله وخافون ان كنتم مؤمنين وقال
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال سيذكر من يخشى وقال تعالى انما يخشى الله من عباده

بكاء آدم عليه الصلوة والسلام

بكاء نوح عليه الصلوة والسلام

بكاء داود عليه الصلاة والسلام

بكاء يحيى عليه الصلوة والسلام

بكاء ابو بكر وعمر رضي الله عنهما

العلماء وكل ما دل من الآيات والاحاديث على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان
الخوف ثمرة العلم واخرج ابن ابي الدنيا انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقشعر جلد العبد
من مخافة الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها وقال صلى
الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين ان
امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة وان خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال
ابو سليمان الداراني كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب وقد قال الله تعالى فلا
يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال مالك بن دينار البكاء على الخطيئة يحط
الذنوب كما يحط الريح الورق اليابس وقال بعض السلف لو نودي ليدخل الجنة
كل الناس الا رجلا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا عمر افضل الناس بعد
ابي بكر رضي الله عنهما وقد بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ومع ذلك سال
حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعلق بالمنافقين والفتن فقال له
يا حذيفة هل انا من المنافقين قال لا والله لست منهم يا امير المؤمنين فخاف عمر ان
يكون النفس قد لبست عليه حاله وسترت عيوبه عنه وعظم ذلك عليه حتى جوزوا ان يكون
ذلك الوعد مشروطا بشروط لم يحصل منه فلم يغتر به وقال الحسن بكى ابونا آدم
صلى الله عليه وسلم حين اهبط من الجنة ثلثمائة عام جرت اودية سرنديب من دموعه
وسرنديب محل من الهند اعدل البلاد مطلقا نزل به حتى لا يوحشه مفارقة الجنة اذ لو
بكينا [?] ولو نزل بغيره مما لم يعتدل جوه [?] لم يوجد في سائر الازمنة لا اقترب اصفرار [?] وقال
وهيب بن الورد لما عاتب الله نوحا صلى الله على نبينا وعليه وسلم في ابنه فانزل
عليه اني اعظك ان تكون من الجاهلين بكى ثلثمائة عام حتى صار تحت عينيه امثال
الجداول اي الانهار الصغار من البكاء وقال وهب بن منبه كان داود يبكي
حتى يبتل ما بين يديه من دموعه ويبكي حتى ينبت العشب من دموعه ثم يبكي
حتى ينقطع صوته وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يحيى ابن زكريا
صلوات الله عليهما يبكي حتى تقطع خداه وبدت اضراسه فقالت له امه لو اذنت
لي يا بني حتى اتخذ لك قطعتين من لبود تواري بهما اضراسك عن الناظرين
فاذن فالصقتهما بخديه فكان يبكي فكانتا يبتلان بالدموع فتجيء امه فتعصرهما
فتسيل دموعه على ذراعيها وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها
وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن وفيه ايضا انه صلى الله
عليه وسلم لما مرض وامر ابا بكر ان يصلي بالناس قالت يا رسول الله ان ابا بكر

رجل

رجلا اسيفا اي يغلب الحزن اذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء وقال
عبد الله بن عيسى كان في وجه عمر بن الخطاب خطان اسودان من البكاء وقال
ابنه عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قال هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال
معاوية بن ابي سفيان لضرار صف لي عليا قال او تعفيني قال لا اعفيك قال
اما اذا لا بد فانه كان بعيد المدى اي واسع العلوم والمعارف لا تدرك غايته
فيها شديد القوى اي في ذات الله ونصرة دينه يقول فضلا ويحكم عدلا يتفجر
العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها و
يستانس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه اي تاسفا
وحزنا اذ هذا فعل المتاسف الحزين ويخاطب نفسه اي بالمزعجات والمقلقات
يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما خشن كان والله كاحدنا يجيبنا اذا سالناه
وياتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فان تبسم
فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم اهل الدين ويحب المساكين ولا يطمع القوي
في باطله ولا ييئس الضعيف من عدله واشهد بالله لقد رايته في بعض مواقفه وقد ارخى
الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ
السليم اي اللديغ ويبكي بكاء الحزين وكاني اسمعه يقول يا ربنا يا ربنا يتضرع
اليه ثم يقول يا دنيا يا دنيا الي تعرضت ام الي تشوقت هيهات غري غيري
قد بتتك ثلثا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير من قلة الزاد
وبعد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت دموع معاوية على لحيته فما ملكها
وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء قال معاوية ابا الحسن كان والله
كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقا عبرتها
ولا يسكن حزنها وبكى ابن عباس رضي الله عنهما حتى صار كانه الشن البالي وبكى
تلميذه سعيد بن جبير حتى عمشت عيناه وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قلت
ليزيد بن مرثد ما لي ارى عينك لا تجف قال وما مسالتك عنه قلت عسى الله
ان ينفعني به فقال يا اخي ان ذلك ليعرض لي حين اسكن الى اهلي اي الارادة
وطيها فيحول ذلك بيني وبين ما اريد وانه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض
فيحول بيني وبين اكله حتى تبكي امراتي ويبكي صبياننا ما يدرون ما ابكانا
وربما اضجر ذلك امراتي فتقول يا ويحها ما خصصت به من طول الحزن معك في الحيوة

والمقلقات ٥

بكاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه

بكاء معاوية رضي الله عنه

بكاء ابن عباس وتلميذه سعيد بن جبير رضي الله عنهما

بكاء ابن يزيد بن جابر رحمة الله عليه

الدنيا

حكاية ثابت البناني رحمه الله عليه

ما يقربني معك عين وقال جعفر بن سليمان اشتكى ثابت البناني عينيه فقال
له الطبيب اضمن لي خصلة تبرأ عينيك فقال وما هي قال لا تبكي قال واي خير في

حكاية يزيد بن هرون رحمه الله عليه

عين لا تبكي وقال الحسن بن عرفة رايت يزيد بن هرون بواسط وكان احسن
الناس عينين ثم رايته بعد ذلك مكفوف البصر فقلت له يا ابا خالد ما فعلت
العينان الجميلتان قال ذهب بهما بكاء الاسحار ودخل بعض اصحاب فتح الموصلي

حكاية فتح الموصلي رحمه الله عليه

عليه فرآه يبكي ودموعه خالطها صفرة فقال له بكيت الدم قال نعم قال على اذا قال
على تخلفي عن واجب حق الله ثم رآه في المنام بعد موته فقال له ما فعل الله بك قال عوتب
قال فاصنع في دموعك قال قربني فقال لي يا فتح على ماذا بكيت قلت يا رب
على تخلفي عن واجب حقك قال فالدم قال خوفا ان لا تصح لي قال يا فتح ما اردت
بهذا كله وعزتي لقد صعد حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة
وذكر ابو حاتم بن حبان في صحيحه عن عطاء قال دخلت انا وعبيد بن عمر على
عائشة فقالت لعبيد بن عمر قد آن لك ان تزورنا اقول يا امه كما قال الاول زر غبا
تزدد حبا فقالت دعونا من رطانتكم هذه فقال ابن عمر اخبرينا باعجب شيء رايته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكتت ثم قالت لما كان ليلة من الليالي فقال
يا عائشة ذريني اتعبد الليلة لربي قلت والله اني لاحب قربك واحب ما
يسرك قالت فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت وكان
جالسا فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الارض فجاء
بلال يؤذنه بالصلوة فلما رآه يبكي قال يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن
قراها ولم يتفكر فيها ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية كلها

واعلم ان البكاء اما من حزن واما من وجع واما من فزع واما من
فرح واما شكرا واما خشية من الله تعالى وهذا هو اعلاها درجة واغلاها ثمنا
في الدار الآخرة واما البكاء للرياء والكذب فلا يزداد صاحبه الا طردا
وبعدا ومقتا وحق لمن لم يعلم ما جرى له به القلم في سابق علم الله تعالى من سعادة
مؤبدة او شقاوة مخلدة وهو فيما بين هاتين الحالتين يرتكب المحرمات
ويخالف حاله في المنهيات ان يكثر بكاءه واسفه وحزنه وتحيبه ولهفه وان يهجر
الفواحش ما ظهر منها وما بطن وان يجار الى الله على ما سلف منه من سوء بعث
منها الغفلة وحبائل شهواته عسى ان يوفقه الى التوبة النصوح ولا يخرجه من ظلمات

الجهل

الجهل والعصيان الى نور العلم والطاعة وما لهما من ثمرات المعرفة والفتوح قال
بعضهم ارق الناس قلوبا اقلهم ذنوبا وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه
انه قال يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على
خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله واشدكم له خشية ومن ثم غلب الخوف
على الانبياء والرسل والحكماء والاولياء وغلب الامن من المكر على الظلمة والاطغياء
والنزاعة الاغنياء والجهلة والعوام والرعاع والطغام حتى كانهم حسبوا وزعموا
انهم لم يخشوا سطوة العتاب ولا نار العذاب ولا بعد الحجاب نسوا الله فانساهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون وفي صحيح البخاري عن ام العلاء امراة من الانصار انهم اقتسموا
المهاجرين اول ما قدموا عليهم بالقرعة قالت فطار لنا اي وقع في سهمنا عثمان بن
مظعون من افضل المهاجرين واكابرهم ومتعبديهم وممن شهد بدرا فاشتكى فمرضناه
حتى اذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة
الله عليك ابا السائب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله تعالى فقال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت لا ادري بابي انت وامي يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما عثمان فقد جاءه اليقين والله اني لارجو له
الخير اي فالانكار عليها انما هو من حيث انها ابرزت تلك الشهادة جازمة بها متيقنة
لمقتضاها من غير مستند قطعي تعتمد عليه في ذلك وكان اللائق بها ان تبرزها في حيز الرجا
لا الجزم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم والله ما ادري
وانا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لا ازكي احدا بعده ابدا اي على جهة الجزم
والتيقن على جهة الرجاء وحسن الظن بالله تعالى قالت واحزنني ذلك فنمت فاريت
لعثمان عينا تجري فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ذلك عمله
ولما توفي عثمان هذا قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم خده وبكى حتى سالت دموعه
الكريمة على خد عثمان وبكى القوم فقال صلى الله عليه وسلم اذهب عنها اي الدنيا ابا
السائب لقد خرجت عنها ولم تتلبس منها بشيء وسماه صلى الله عليه وسلم السلف الصالح
وهو اول من قبر بالبقيع رضي الله عنه فتامل نهيه صلى الله عليه وسلم عن الجزم بالشهادة
على الله في عثمان هذا مع كونه شهد بدرا وقوله وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وكونه قبّله وبكى ووصفه باعظم الاوصاف وافضلها
وانه لم يتلبس من الدنيا بشيء وبانه السلف الصالح تعلم انه ينبغي لك وان عملت من
الطاعات ما عملت ان تكون على حذر للخوف والخشية من الله تعالى وعذابه واليم عقابه

بحث اطفال المؤمنين

فانه لا يجب عليه لاحد من خلقه شيا قل فمن يملك لكم من الله شيا ان اراد ان يهلك
المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ونظيره انكاره صلى الله عليه وسلم هذا
على هذه المراة انكاره على عايشة رضي الله عنها فقد اخرج مسلم انها قالت دعي
النبي صلى الله عليه وسلم الى جنازة غلام من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى
لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يدرك الشر ولم يعمله قال او غير ذلك يا عايشة
ان الله عز وجل خلق للجنة اهلا خلقها لهم وهم في اصلاب ابائهم وخلق للنار
اهلا خلقها لهم وهم في اصلاب ابائهم وفي رواية خلقها لهم خلقهم لها وقد اخذ بعض
الناس من هذا الحديث ان اطفال المؤمنين لا يقطع بدخولهم الجنة واشتد انكار
العلماء عليه في المقالة الشنيعة المخالفة لقواطع الايات والاحاديث وتزييفهم
وتضليلهم لقايلها ولا متمسك له في هذا الحديث لان ظاهره غير مراد اجماعا وانما
ذلك قبل ان يعلم الله نبيه بانهم يقطع بالجنة فح كان لا ينبغي الجزم فانكر عليها من
حيث الجزم واما بعد ذلك فيجب ما شهدت به النصوص القطعية فلا انكار على
من جزم بذلك وانما الخلاف في اطفال الكفار والاصح انهم في الجنة ايضا
وربما تاتي لنا عودة الى ذلك وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون
واذا الشمس كورت والغاشية قال العلماء لعل ذلك لما فيهن من التخويف
الفظيع والوعيد الشديد باعتبار اشتمالهن مع قصرهن على حكاية احوال الاخرة
وعجايبها وفظايعها واحوال الهالكين في ما اشتملت عليه هود من الامر
بالاستقامة كما امرت وهذا من اصعب المقامات الذي لا يتاهل لها الا الانبياء ثم
الا هو صلى الله عليه وسلم وهو مقام الشكر اذ هو صرف العبد في كل ذرة ونفس
جميع ما انعم الله به عليه من حواسه الظاهرة والباطنة الى ما خلق لاجله من عبادة ربه
وطاعته بما يناسب كل جارحة من جوارحه على الوجه الاكمل ولذا لما قيل له صلى
الله عليه وسلم عند مجاهدته لنفسه وكثرة بكايه وخوفه وتضرعه اتفعل هذا يا رسول الله
وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ومن
العجب ان قوله لتخليطي واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى ربما فهم منه
بعض من لا تامل له ان فيه رجاء عظيما واي رجاء فيه مع كونه تعالى شرط للمغفرة
في مغفرته اربع شروط التوبة والايمان الكامل المراد في نحو قوله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه والعمل الصالح ثم سلوكه في سبيل المهتدين

من مراقبة

من مراقبة الله تعالى وشهوده ودوام الذكر والفكر والاقبال بالخلق على الله
بقالبه وحاله ودعايه واخلاصه ونظير ذلك قوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل
صالحا فعسى ان يكون من المفلحين ولا تغتر بما قيل عسى من الله واجبة الوقوع
فان ذلك لاكثري لا كلي قال الله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
وقد نعلم ان الله لم يتذكر ولم يخش بتذكرة وخشية نافعين له بل تستهل الله تعالى
على اكل اذا تبت توبة نصوحا وآمنت ايمانا كاملا وعملت عملا صالحا
[illegible] رجاء حصول الفلاح لك والهداية والقرب من حضرة الحق فاياك
ان تامن مكر الله ان وصلت الى ما وصلت فانه لا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون واستحضر قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم وقوله وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ان في ذلك لاية لمن
خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره
الا لاجل معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الآيات وقوله تعالى وان منكم الا
واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وقوله فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فانظر
بعين بصيرتك ونفوذ سريرتك الى انه تعالى قد حكم على كل انسان اذ ال فيه
للعموم والاستغراق بدليل الاستثناء فانه خاسر الا من جمع اربعة امور
فانه الذي ينجو من الخسران المودي الى الهلاك الايمان والعمل الصالح
والتواصي بالحق بان تتلبسوا بما دل عليه الكتاب والسنة من الاخلاق
والآداب والاحكام والشروط في سائر اقوالهم وافعالهم واحوالهم الباطنة
والظاهرة فلا يوجد وا منها شيئا الا وقد اخلصوا فيه وابتغوا به وجه الله
وحده والتواصي بالصبر بان يصبروا على الطاعات وما يليق بهم من المكاره
والبليات وعن المعاصي وما لها من الشهوات واللذات فمن تحقق بهذه
الشروط الاربعة كما ذكرنا كان على رجاء عظيم من السلامة من الخسار وحال العار
لشنار والبوار وعن الوصول الى شهود الكبير المتعال والفوز برضاه في الحال

والمآل حقق الله لنا ذلك بمنه وكرمه وكيف يصح للعاقل ان يأمن
سطوات الحق والانتقام وقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين ارادتي
تقليبه السعادة لاقوام والشقاوة لآخرين وسمي القلب قلبا لانه اشد
تقلبا من قدر اغلي علي ما فيها باعظم الوقود ومن ثم كان صلي الله عليه وسلم
يكثر ان يقول في سجوده يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك وقد قال
مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مامون ولولا انه يتقلب لطف بعباده العارفين
والعلماء الوارثين فروح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت اكبادهم من
نار خوفه التي سعرها بما اظهره من نواميس قهره وعدله التي لو انكشفت حقا
لزهقت النفوس وتقطعت القلوب وكان ابو الدرداء رضي الله عنه صاحب
رسول الله صلي الله عليه وسلم يحلف بالله ان من امن السلب عند موته اي جزاء
لامنه مكر الله وقال عبد الرحمن بن مهدي مات سفيان الثوري فاشتد به
جعل يبكي فقال له رجل يا ابا عبد الله اتراك كثير الذنوب فرفع راسه واخذ
تبنا من الارض فقال والله لذنوبي اهون عندي من هذا اني اخاف السلب
الايمان قبل ان اموت وقال عبد الله بن احمد بن حنبل لما احتضر ابي جلست
عنده وبيدي الخرقة لاشد بها لحييه فجعل يغرق ثم يفيق ويقول لا بعد
يا ابت ما هذا الذي قد لهجت به في هذا الوقت فقال يا بني او ما تعلم
قلت لا قال ابليس قايم بحذائي يقول يا احمد فتني فاقول لا بعد حتي اموت
وكان سهل يقول المريد يخاف ان يبتلي بالمعاصي والعارف يخاف ان
يبتلي بالكفر وروي ان نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكي
الي الله الجوع والعري فاوحي الله اليه عبدي اما رضيت ان عصمت قلبك
عن ان تكفرني حتي تسالني الدنيا فاخذ التراب فوضعه علي راسه وقال بلي قد
رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان هذا خوف العارفين من سوء
الخاتمة مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم فكيف لا يخاف ذلك الضعفاء
قال العلماء ولسوء الخاتمة علامات يتقدم علي الموت مثل البدعة
ويؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام اهل البدعة كلاب اهل النار ومثل
نفاق العمل وهو الذي اشار اليه صلي الله عليه وسلم بقوله اية المنافق
ثلث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وان صام وصلي
وزعم انه مسلم ولذلك اشتد خوف السلف منه حتي قال بعضهم لو علم اني بريء

مثل البدع

علامات المنافق

[illegible]

من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وقال ابو الدرداء استعيذوا
بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال ان ترى الجسد خاشعا
والقلب فاجرا وروى البخاري في صحيحه عن انس رضي الله عنه انه قال انكم تعملون
اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا لنعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الموبقات وروى الشيخ نصر المقدسي امام الشافعية في زمنه عن ابي ذر رضي الله عنه
انه قال اوصاني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع كلمات هن احب من الدنيا
وما فيها قال لي يا ابا ذر جدد السفينة فان البحر عميق يعني الدنيا وخفف الحمل
فان السفر بعيد واحمل الزاد فان العقبة طويل واخلص العمل فان الناقد بصير

تعريف الخشية

وسئل سعيد بن جبير رضي الله عنه عن الخشية فقال هي ان تخشى الله تعالى حتى يحول
خشيته بينك وبين معاصيه فهذه هي خشية الله واما الغرة بالله فهو ان يتمادى الرجل
في المعصية ويتمنى على الله المغفرة ودخل بعضهم منزلا فخطر له سرا ان يفعل فيه
معصية وقال من يراني فسمع صوتا من عجا الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقال
سعيد بن جبير في قوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور هو ان يدوم على المعاصي ويتمنى
المغفرة وقال بشر للفضيل عظني يرحمك الله فقال من خاف الله تعالى دله الخوف
على كل خير واستاذن رجل على طاوس فخرج له شيخ فقال له انت طاوس
قال لا انا ابنه قال ان كنت ابنه لقد خرف ابوك فقال ان العالم لا يخرف ثم
قال اذا دخلت عليه فاوجز فدخلت فقال اذا سالت فاوجز قلت لئن اوجزت لك
لأوجزن فقال اني معلمك في مجلسي هذا التورية والانجيل والقرآن فقلت
ان علمتني هذه الثلثة لا اسالك عن شيء فقال خف الله مخافة حتى لا يكون
عندك شيء اخوف منه وارجه رجاء اشد من خوفك اياه واحب للناس ما تحب لنفسك
ويؤيد قوله ان العالم لا يخرف قول عكرمة في قوله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر
من قرا القرآن اي بحفظه لا يصل لهذه الحالة فالمراد بكون العالم لا يخرف انه لا يصل
الى خرف العوام من عود الكبير كالطفل في ساير احواله بل احسن منه فهذا هو الذي
يصان عنه العلماء بالله وفسر مجاهد قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فقال
هو الذي من يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها ويتركها خوفا وحياء من الله تعالى
وروي ان شابا كان تقيا عابدا ملازما للمسجد في زمن عمر احبته امراة فدعته
الى نفسها حتى اختلا بها ثم ذكر وقوفه بين يدي ربه فخر مغشيا عليه فاخرجته و
[illegible] على بابها فجاء ابوه وحمله الى بيته فاصفر وارتعد حتى مات فجهزه ودفن

فوقف عمر على شفير قبره فقرأ ولمن خاف مقام ربه جنتان فنودي من قبره ان الله
قد اعطانيهما يا عمر اعطاني الرضا وفوق الرضا وعن يحيى ابن معاذ قال
من اعظم الاغترار ان المذنب يرجو العفو من غير ندامة ويتوقع القرب من الله
بغير طاعة وينتظر الجزاء بلا عمل ويتمنى على الله مع الافراط واعظم حامل على خوف
الله وخشيته سطوة العلم قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ومن
ثم غلب الخوف على علماء الصحابة ومن بعدهم حتى قال ابو بكر رضي الله عنه ليت
كنت شعرة في صدر مؤمن وقال عمر عند موته الويل لعمر ان لم يغفر له وقال ابن مسعود
ليتني اذا مت لا ابعث وقد يستشكل هذا التمني بما مر في المكفرات الا ان يجاب
بانه لم يرد حقيقة التمني بل اظهار انه له قبائح يخاف من المواخذة بها بعد المبعث
ونظير ذلك ما وقع لاسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه حيث قتل
من نطق بالشهادتين ظنا انه انما نطق بهما اتقاء لا حقيقة فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعاتبه وكرر عليه قوله هلا شققت عن قلبه قال اسامة
حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت يومئذ فانه لم يتمن الكفر ولا تاخير اسلامه
حقيقة الى بعد هذه الواقعة وانما تمنى سبق هذه الفعلة منه لاسلامه حتى
يكونها الاسلام فتامل ذلك فقل ولما بعد عن العلم اقوام لا حظوا اعمالهم
واتفق لبعضهم من الالطاف ما يشبه الكرامات انبسطوا بالدعاوي ولم
يتبعوا طريق السلف الصالح في ترك الدعاوي واساءتهم حتى نقل عن بعضهم
انه قال وددت ان قد قامت القيامة حتى انصب خيمتي على جهنم فساله رجل ولم
ذلك فقال اني اعلم ان جهنم اذا راتني تخمد فاكون رحمة للخلق وهذا من اقبح
الكلام وافحشه لانه يتضمن تحقير ما عظم الله شانه من امر النار فانه تعالى بالغ
في وصفها فقال فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال اذا
راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وفي الحديث الصحيح عند مسلم
وغيره ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا والله
ان كانت نارنا لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة و
وستين جزءا كلهن يجر دونها ولقد وقع لبعض الصالحين انه كان جالسا
وعنده سراج فخطرت له معصية فقال لنفسه انا اجعل اصبعي في هذه الفتيلة
فان صبرت عليها اطعتك في هذه المعصية ثم ادخل اصبعه في النار فصاح صيحة
من عجة فقال يا عدوة الله اذا لم تصبري على نار الدنيا هذه التي طفيت سبعين

مرة

مرة فكيف نصبر نحن على نار جهنم وعن عمر رضي الله عنه انه قال لكعب الاحبار
خوفنا يا كعب فقال يا امير المؤمنين لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت
عملك مما ترى فاطرق عمر مليا ثم افاق فقال زدنا يا كعب قال يا امير المؤمنين
لو وافيت القيامة ولو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب
ليغلي دماغه حتى يسيل من حرها فاطرق عمر مليا ثم افاق فقال زدنا يا كعب
قال يا امير المؤمنين ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل
الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول رب نفسي نفسي لا اسالك اليوم غير نفسي قال
كعب الاحبار ايضا اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين في صعيد
واحد ونزلت الملائكة فصارت صفوفا فيقول يا جبرئيل ائتني بجهنم فياتي
بها جبرئيل تقاد بسبعين الف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة
عام زفرت زفرة طارت لها افئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب
ولا نبي مرسل الا جثى لركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول
فيفزع كل امرئ الى عمله حتى ان ابراهيم الخليل يقول بخلتي لا اسالك الا نفسي
ويقول موسى بمناجاتي لا اسالك الا نفسي وان عيسى يقول بما اكرمتني لا اسالك
الا نفسي لا اسالك مريم التي ولدتني وفي حديث انه صلى الله عليه وسلم قال يا جبرئيل
ما لي ارى ميكائيل لا يضحك قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وما جفت لي
عين منذ خلقت جهنم مخافة ان اعصي الله عز وجل فيجعلني فيها وبكى عبد الله بن رواحة
يوما فقيل له ما يبكيك قال انبانا الله اني وارد النار ولم ينبئني اني خارج منها
فاذا كانت هذه حالة الملائكة والانبياء والصحابة وهم المطهرون من الادناس
وهذا انزعاجهم من النار فكيف واثبت عند ذلك المدعي له المغرور وسولت له
نفسه ان جنيته تطفئ جهنم وانه يقطع لنفسه فضلا عن غيره بالنجاة وهي ليست الا
للعشرة الذين بشرهم الله بالجنة ومع ذلك كان عندهم من الخوف ما اقتضى ان
يقول الصديق وهو اكبرهم ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن وان يقول عمر الويل
لعمر ان لم يغفر له وفي الحديث من قال اني في الجنة فهو في النار ولسنا نعني بالخوف
رقة النساء فتبكي ساعة ثم تترك العمل وانما نريد خوفا يسكن القلب حتى يمنع صاحبه
عن المعاصي ويحثه على ملازمة الطاعة فهذا هو الخوف النافع لا خوف الحمقى
الذين اذا سمعوا ما يقتضي الخوف مما مر وغيره لم يزيدوا على ان يقولوا يا رب
نعوذ بالله وهم مع ذلك مصرون على القبائح والشيطان يسخر بهم كما تسخر

لانه بمنزلة بيته دفتر فقصده سبع ضار وهو الي جانب حصن منيع بابه مفتوح له فلم يرجع
اليه واغا اقتصر على رب سلم حتى جاءه السبع فاكله وروى البخاري انه صح انه صلى الله
عليه وسلم قال كان رجل مسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني
واطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر على ربي اي لئن اراد تعذيبي والتعبير
بالقدرة عن الارادة شايع ليعذبني عذابا ما عذبه احدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله
الارض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فاذا هو قايم قال ما حملك على ما صنعت
قال يا رب خشيتك فغفر له وفي رواية مخافتك وفي صحيح البخاري ايضا قال عقبة
لحذيفة الا تحدثنا ما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعته يقول ان رجلا
حضره الموت فلما ايس من الحياة اوصى اهله اذا انا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا ثم اوروا
نارا حتى اذا اكلت لحمي وخلصت الى عظمي فخذوه فاطحنوه فذروني في يوم راح
فجمعه الله تعالى فقال لم فعلت قال خشيتك فغفر له قال عقبة وانا سمعته يقول
وفيه ايضا ان رجلا كان قبلكم اعطاه الله مالا فقال لبنيه لما حضرته الوفاة
اي اب كنت لكم قالوا خير اب قال فاني لم اعمل خيرا قط فاذا مت فاحرقوني
ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم عاصف ففعلوا فجمعه الله تعالى فقال ما حملك على
ذلك قال مخافتك فتلقاه برحمته

الباب الاول في الكبائر الباطنة وما يتبعها

وقدمتها لانها اخطر ومرتكبها اذل العصاة
واحقر ولان معظمها اعم وقوعا واسهل ارتكابا وامر ينبوعا فقل ما ينفك
انسان عن بعضها للنها من خدادار وضها فلذلك كانت العناية بهذا القسم
ادلى وكان صرف عنان الفكر الى تلخيصه وتحريره احق واحرى اند قال
بعض الايمة كبائر القلوب اعظم من كبائر الجوارح لانها كلها توجب الفسق
والظلم وتزيد كبائر القلوب بانها تاكل الحسنات وتوالي شدايد العقوبات
ولما ذكر بعض الايمة الكباير الباطنة ووصلها الى اكثر من ستين قال والذم
على هذه الكباير اعظم من الذم على الزنا والسرقة وشرب الخمر لعظم مفسدتها
وسوء اثرها ودوامه فان آثارها تدوم بحيث تصير حالا للشخص وهيئة راسخة
في قلبه بخلاف آثار معاصي الجوارح فانها سريعة الزوال تزول بمجرد الاقلاع
مع التوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصايب المكفرة ان الحسنات
يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

الكبيرة الاولى الشرك الاكبر اعاذنا الله منه بمنه وكرمه

اوحن

وختم لنا بالحسنى في عافية بلا محنة انه اكرم كريم وارحم رحيم اعلم وفقني
الله واياك لمرضاته واجزل علينا هواطل جوده وسوابغ هباته ان مران كلا
من تعاريف الكبيرة السابقة ظاهرة انما هو تعريف للكبيرة المصاحبة للايمان
فلذلك نبه اكثرهم في تعدادها بما يلي الكفر وهو القتل ولم نجد على ذلك لان
مقصودنا في هذا الكتاب استيفاء الكلام على ساير ما قيل انه كبيرة مع بيان
مراتبها وما ورد فيها من الوعيد والتهديد ولما كان الكفر اعظم الذنوب كان
احق بان يبسط الكلام عليه وعلى احكامه فنقول قال الله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى ان الشرك لظلم عظيم
وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماويه النار وما للظالمين
من انصار وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا انبيكم باكبر
الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكيا فجلس فقال الا وقول
الزور الا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وفي الحديث الصحيح
ايضا اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها الاشراك بالله تعالى وروى احمد
والبخاري والترمذي والنسائي الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين
وقتل النفس الحديث واحمد والشيخان والترمذي والنسائي الكباير الشرك بالله
وقتل النفس وعقوق الوالدين الا انبيكم باكبر الكباير قول الزور وكونها
اكبرهن انما هو فيما لم يرد فيه ما يدل على انه اكبر منها كالشرك والقتل والزنا
وابو داود والنسائي الكباير سبع اعظمهن الاشراك بالله الحديث والطبراني
اجتنبوا الكباير السبع الشرك بالله الحديث والبزار ان اكبر الكباير الاشراك
بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ومنع الفحل واحمد والشيخان والترمذي
الا انبيكم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور
والطبراني الكباير سبعة الاشراك بالله الحديث وذكر منها الاعرابية بعد الهجرة
وسيأتي ان شاء الله تعالى والنجاري اكبر الكباير الاشراك بالله وقتل النفس
وعقوق الوالدين وشهادة الزور واحمد والترمذي وابن حبان والحاكم ان من
اكبر الكباير الشرك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس وما حلف حالف
بالله يمين صبر فادخل فيها جناح بعوضة الا جعلت نكتة في قلبه الى يوم القيمة
والطبراني من اكبر الكباير الشرك بالله واليمين الغموس والطبراني والحاكم
والبيهقي الا ان اولياء الله المصلون ومن يقيم الصلاة الخمس التي كتبهن الله

على عباده وليصوم رمضان ويحتسب صومه يرى انه عليه حق ويؤتى الزكوة
طيبة بها نفسه ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها قيل يا رسول الله
كم الكبائر قال هي تسع اعظمهن الاشراك بالله وقتل المؤمن بغير حق و
الفرار من الزحف وقذف المحصنة والسحر واكل مال اليتيم واكل الربوا
وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت الحرام قبلتكم احياء وامواتا
لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتي الزكوة الا
وافق محمدا صلى الله عليه وسلم في بحبوحة جنة ابوابها مصاريع الذ
وقال صلى الله عليه وسلم اذهب يا ابن الخطاب وفي رواية قم يا عمر فناد
في الناس انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون رواه احمد ومسلم والترمذي وقال
حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد
ان الجنة لا تحل الا لمؤمن رواه ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم يا بلال
قم فاذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة
رواه احمد ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة انه لا يدخل الجنة الا نفس
مسلمة وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر رواه احمد والشيخان
من بدل دينه فاقتلوه احمد والبخاري والاربعة من ارتد عن دينه فاقتلوه
الطبراني اسلم وان كنت كارها البخاري وابو يعلى والضياء امركم بثلث
وانهاكم عن ثلث امركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وان تعتصموا بحبل
الله جميعا ولا تفرقوا وتسمعوا وتطيعوا لمن ولاه الله امركم وانهاكم عن قيل
وقال وكثرة السؤال واضاعة المال رواه ابو نعيم ايما رجل ارتد عن
الاسلام فادعه فان تاب فاقبل منه وان لم يتب فاضرب عنقه وايما امرأة
ارتدت عن الاسلام فادعها فان تابت فاقبل منها وان ابت فاستتبها
رواه الطبراني وظاهره ان المرأة المرتدة لا تقتل والاصح عند الخلافه
لعموم الخبر الصحيح من بدل دينه فاقتلوه وروى البيهقي من بدل دينه او رجع
عن دينه فاقتلوه ولا تعذبوا عباد الله بعذاب الله يعني النار والطبراني
من بدل دينه فاقتلوه ولا يقبل الله توبة عبد كفر بعد اسلامه اي ما دام
مصرا على كفره وابن ماجة من رجع عن دينه فاقتلوه ولا تعذبوا بعذاب
الله احدا يعني النار والشافعي والبيهقي من غير دينه فاضربوا عنقه

والطبراني

والظاهر أنه من خالف دينه دين المسلمين فاضربوا عنقه وإذا شهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله فلا سبيل عليه إلا أن يأتي شيئاً فيقام عليه حده
تنبيهات منها بيان الشرك وذكر جملة من أنواعه
لكثرة وقوعها في الناس وعلى ألسنة العامة من غير أن يعلموا أنها كذلك فإذا
بانت لهم فلعلهم أن يجتنبوها لئلا يحبط أعمال مرتكبي ذلك ويخلدون في أعظم
العذاب وأشد العقاب ومعرفة ذلك أمر مهم جداً فإن من ارتكب مكفراً يحبط
جميع أعماله ويجب عليه قضاء الواجب منها عند جماعة من الأئمة كأبي حنيفة ومع
ذلك فقد توسع أصحابه في المكفرات وعدوا منها جملاً مستكثرة جداً وبالغوا في
ذلك أكثر من بقية أئمة المذاهب هذا مع قولهم بأن الردة تحبط الأعمال وأن
من ارتد بانت منه زوجته وحرمت عليه فمع هذا التشديد العظيم بالغوا في
الاتساع في المكفرات فتعين على كل ذي مسكة في دينه أن يعرف ما قالوه حتى
يجتنبه ولا يقع فيه فيحبط عمله ويلزمه قضاؤه وتبين زوجته عند هؤلاء الأئمة
بل عند الشافعي رضي الله عنه أن الردة وإن لم تحبط العمل لكنها تحبط ثوابه فلم
يثبت الخلاف بينه وبين غيره إلا في القضاء فقط والأكثرون وإن لم يقلدوهم
لكن الاستبراء للدين والنفس المأمور به يوجب الاحتياط ومراعاة الخلاف
ما أمكن سيما في مثل هذا الباب الضيق الشديد الحرج في الدنيا والآخرة بل الأشد
منه ولذلك استوفيت جميع ما قالوه مما هو معتمد وغير معتمد عندهم ومما قاله
غيرهم من بقية المذاهب في كتاب لما أتي ذكره وأشير هنا إلى جملة من ذلك ومن
أراد الإحاطة بجميع تلك الأنواع فعليه بالكتاب المذكور **فمن أنواع
الكفر والشرك** أن يعزم الإنسان على الكفر في زمن بعيد أو قريب أو
يعلقه باللسان أو القلب على شيء ولو محالاً عقلياً فيما يظهر فيكفر حالاً أو يعتقد
ما يوجبه أو يفعل أو يتلفظ بما يدل عليه سواء أصدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء
كأن يعتقد قدم العالم ولو بالنوع أو نفي ما هو ثابت لله تعالى بالإجماع المعلوم
من الدين بالضرورة كأن نفى أصل علمه أو قدرته أو كونه يعلم الجزئيات أو إثبات
ما هو منفي عنه بذلك كاللون أو كونه متصلاً بالعالم أو خارجاً عنه على ما في ذلك
من نزاع والتفصيل حاصله أن النقص إما أن يعتقد اتصاف الله عز وجل وتبارك
وتعالى عنه صريحاً أو لازماً للقول كفر إجماعاً والثاني كذلك على خلاف فيه الأصح
منه عندنا عدم الكفر فعلم أن نحو المجسم أو الجهوي لا يكفر بما يلزم مقالته من النقص

الجبري

الا ان اعتقده او صرح به وكان يسجد لمخلوق كالشمس ان لم تدل قرينة ظاهرة
على عذره وياتي في هذا القيد كثير من المسائل الآتية وفي معنى ذلك كل من فعل فعلا
اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان مصرحا بالاسلام كالمشي الى الكنائس
مع اهلها بزيهم من الزنانير وغيرها او يلقي ورقة فيها شيء من قرآن او علم شرعي
او فيها اسم الله تعالى بل او اسم نبي او ملك في نجاسة قال بعضهم او قذر طاهر
كمني او مخاط او بزاق او يلطخ ذلك او مسجدا بنجس ولو معفوا عنه او يشك
في نبوة نبي اجمع عليها الا كالخضر وخالد بن سنان او في انزال كتاب كذلك كالتوراة
او الانجيل او زبور داود او صحف ابراهيم صلى الله عليه وسلم او في آية من القرآن
مجمع عليها كالمعوذتين او في تكفير كل قائل قولا يتوصل به الى تضليل الامة او
تكفير الصحابة او في مكة المشرفة والكعبة او المسجد الحرام او في صفة الحج او هيئة المعروفة
وكذا الصلاة والصوم او في حكم مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كتحريم المسكر
ومشروعية السنن كصلاة العيد او استحل محرما كذلك كالصلاة بغير وضوء رجلا لها
مع نجاسة للخلاف فيها او كايذاء مسلم او ذمي بلا مسوغ شرعي بالنسبة لاعتقاده
او حرم حلالا كالبيع او النكاح او يقول عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه كان اسود
او توفي قبل ان يلتحي او ليس بقرشي او عربي او انسي لان وصفه بغير صفته
تكذيب له ويؤخذ منه ان كل صفة اجمعوا على ثبوتها له يكون انكارها كفرا كما لو
جوز بعثة نبي بعده او قال لا ادري اهو الذي بعث بمكة او مات بالمدينة
او غيره او النبوة مكتسبة او ان رتبتها يوصل اليها بصفاء القلب او الولي
افضل من النبي او انه يوحى اليه وان لم يدع نبوة او يدخل الجنة قبل موته
او يعيب نبينا صلى الله عليه وسلم ومثله غيره من الانبياء بل والملائكة او يلعنه
او يسبه او يستخف او يستهزئ به او بشيء من افعاله كلحس الاصابع او يلحق
نقصا في نفسه او نسبه او دينه او فعله او يعرض بذلك او يشبهه بشيء على طريق
الازراء او التصغير لشانه او الغض منه او يتمنى له مضرة او ينسب اليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر
من القول وزورا او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه فيكفر بواحدة مما ذكر اجماعا
فيقتل ولا يقبل توبته عند اكثر العلماء وقد قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه
من قال له عند صاحبكم وعد هذه الكلمة تنقيصا له صلى الله عليه وسلم او يرمي

لكو

بالكفر ولو هزلا كان يشير على كافر بان لا يسلم وان لم يستغفره او يقول له لقن كلمة الاسلام
فيه او كان يقول خطيب اجر حتى افرغ خطبتي بخلاف الدعاء بعدم لا رزقه الله الايمان
او بيقبضه الله على الكفر او سلبه عن فلان المسلم ان اراد شريد الامر عليه لا الرضا به او سؤال
الكفر لغيره او يقول لاخيه المسلم يا كافر بلا تاويل لانه سمى الاسلام كفرا او يسخر باسم الله تعالى
او بنبيه كان يصغره او باسمه او نهيه او وعده او وعيده كان يقول لو امرني بكذا لم
افعله او لو جعل القبلة هنا ما صليت اليها ولو اعطاني الجنة ما دخلتها استخفافا
او عنادا او قوله اخبرني بترك الصلاة مع ما فيه من الشدة والمرض ظلمني او قال ظالم
لمظلومه القائل هذا الظلم بتقدير الله انا افعل بغير تقدير الله او لو شهد عندي
ملك او نبي ما صدقته او لو كان فلان نبيا ما امنت به او ان كان ما قاله النبي
صدقا نجونا او شك في كونه مكذبا لانه فيه تنقيصا لمرتبة النبوة او قيل له قلم اظفارك
فانه سنة فقال لا افعله وان كان سنة استهزاء او قال لا حول ولا قوة الا بالله لا
يغني من جوع ومثلها في ذلك سائر الاذكار كما هو ظاهر او المؤذن يكذب او
صوته كالجرس واراد تشبيهه بناقوس الكفرة او الاستخفاف بالاذان او يجيء
الله على المحرم كفرا استهزاء او لا اخاف القيامة استهزاء ايضا وقال عن الله انه لا
يتبع السارق ناسب العجز اليه او تشبه بالعلماء او الوعاظ او المعلمين على
هيئة مزرية بحضرة جماعة حتى يضحكوا ويلعبوا استخفافا او قال قصعة
ثريد خير من العلم استخفافا ايضا او قال من اشتد مرضه او مات ولده ان شئت
توفني مسلما او كافرا او اخذت ولدي فما بقي لم تفعله او قيل له يا كافر فقال
نعم ناويا غير مجرد الاجابة او تمنى كونه ثم اسلاما حتى يعطى دراهم مثلا او تمنى
حل ما لم يحل في زمن قط كالقتل والزنا او الظلم او نسب الله الى جور في التحريم
او لبس زي كافر ميلا لدينه او قال اليهود خير من المسلمين لا النصرانية خير من
المجوسية الا ان اراد حقيقتها او قال لمن شمتت كبرا يرحمك الله لا تقل له هكذا
قاصدا انه طفح عن الرحمة او اجل من ان يقال له ذلك او قال قوم لا احلي فان
الثواب يكون لمولاي على تطرينه وواضح جهل اكثر الاوقات بما في ذلك من
محظور فليس الكلام فيهم بل في عالم بالحكم الشرعي حينئذ فلا نظر فيه او قيل
له ما الايمان فقال لا ادري استخفافا او قال لزوجته انت احب الي من
الله او رسوله واراد محبة التعظيم لا الميل كما اشار اليه شراح البخاري او انكر
صحبة ابي بكر او قذف عائشة رضي الله عنهما لانه مكذب للقران بخلاف غيرهما

او قال انه يخلق فعل نفسه لا بالمعنى الذي يقوله المعتزلة او قال لا اله الا الله ولو
مازحا او لا اؤدي حقه جميع الواجبات او قال الله يعلم اني فعلت كذا وهو
كاذب فيه لنسبته الله سبحانه الى الجهل او قال مستخفا بشيء من القرآن او الصلاة
او الذكر او نحو ذلك او اي شيء المحشر او جهنم او اي شيء عملت وقد ارتكب معصية
او اي شيء اعمل بمجلس العلم وقد امر بحضوره او لعنة الله على كل عالم وان لم يرد
الاستغراق والالم يشترط استخفاف لشموله الانبياء والملائكة او
التحقير بكونه عالما وقال اي شيء هذا الشرع او قصد الاستخفاف او قال
بخ بخ فقيه هذا اي شيء مستخفا بالعلم او قال الروح قديم او قال اذا
ظهرت الربوبية زالت العبودية وعنى بذلك رفع الاحكام او انه فني
من صفاته الناسوتية الى اللاهوتية او ان صفاته تبدلت بصفات
الحق او انه يراه عيانا في الدنيا او يكلمه شفاها او انه يحل في صورة
حسنة او اسقط عنه التكليف او قال لغيره دع العبادات الظاهرة ان الشان
في عمل الاسرار او سماع الغناء من الدين او انه يؤثر في القلوب اكثر من القرآن
او العبد يصل الى الله من غير طريق العبودية او الروح من نور الله فاذا اتصل
النور بالنور اتحد وبقيت فروع اخرى كثيرة بينتها مع بسط الكلام عليها
وعلى جميع ما مر بتنويعه وما فيه من الخلاف والبحث ومع استيفاء جميع ما
في هذا الباب على المذاهب الاربعة بل واستيفاء جميع ما قيل بانه كفر ولو على
الاقوال الضعيفة في كتابي الاعلام بما يقطع الاسلام وهو كتاب حافل
لا يستغني طالب علم عنه ومنها ان قال لاخيه المسلم يا كافر كفر بشرطه وكذا من
قال مطرنا بنجم كذا مريدا ان للنجم تاثيرا وقد اخرج الطبراني اذا قال
الرجل لاخيه يا كافر فقد باء به احدهما ان كان الذي قيل له كافر فهو كافر
والا رجع الى من قال والخرائطي والديلمي وابن النجار ما شهد رجل على
رجل بكفر الا باء بها احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد
كفر بتكفيره اياه والطبراني والبيهقي ما من مسلمين الا بينهما ستر من الله فاذا
قال احدهما لصاحبه هجرا هتك ستر الله واذا قال يا كافر فقد كفر احدهما
والطبراني اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فهو كقتله ولعن المؤمن كقتله وابو
داود ايما رجل مسلم كفر رجلا مسلما فان كان كافرا والا كان هو الكافر والنسائي
وابن ماجة والحاكم من قال انه بريء من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما

قال

قال وان كان صادقا فلم يعد الى الاسلام سالما رواه البخاري وغيره اذا قال
الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها احدهما رواه الطبراني كفوا عن اهل لا اله الا الله لا
تكفروهم بذنب فمن كفر اهل لا اله الا الله فهو الى الكفر اقرب رواه مسلم والترمذي
ايما امرء قال لاخيه كافر فقد باء بها احدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه وابن
حبان ما اكفر رجل رجلا قط الا باء بها احدهما ومسلم ما انزل الله من السماء
من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون بكوكب
كذا وكذا رواه احمد ومسلم والنسائي الم تروا ما قال ربكم قال ما انعمت على عبادي
من نعمة الا اصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكوكب وبالكوكب واحمد والبخاري
ومسلم وابو داود والترمذي هل تدرون ما قال ربكم الليلة قال الله اصبح
من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن
بالكوكب والشيرازي لا تزال امتي في مسكة من دينها ما لم يكلوا الغيث بالنجوم واحمد
اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقالوا هذه رحمة وقال بعضهم لقد صدق نوء
كذا وكذا **ومنها** من قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وبه يخص عموم قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وبالآيتين
جميعا يعلم ان الحق ما عليه اهل السنة والجماعة وهو ان الميت مومنا فاسقا
تحت المشية فان شاء عذبه كما يريد ثم ماله الى ان يعفو عنه فيخرج من النار
وقد اسود فينغمس في نهر الحيوة ثم يعود له امر عظيم من الجمال والنضارة والحسن
ثم يدخله الله الجنة ويعطيه كما اعد له بابه ايمانه وما قدمه من الاعمال الصالحة
كما صح بذلك كله حديث البخاري وغيره وان شاء تعالى عفا عنه ابتداء ومسامحه
وارضى عنه خصماءه ثم يدخل الجنة مع الناجين واما قول الخوارج ان
مرتكب الكبيرة كافر وقول المعتزلة انه مخلد في النار حتما وانه لا يجوز العفو
عنه كما لا يجوز عقاب المطيع فهو من تقولهم وافترائهم على الله تعالى عما يقول
الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما اما محمول على
المستحل لما مر ان ذلك كفر فيكون المراد بالخلود حينئذ التابيد في النار كما
كسائر الكفار او على غيره والخلود لا يستلزم التابيد كما تشهد به النصوص
الشرعية والمراد اللغوية اي فهذا جزاؤه ان عذب والا فقد يعفو تعالى عنه

فايده

كما علم من قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعًا
وقول من قال لا توبة للقاتل مراده به الزجر والتنفير عن القتل ولا لا
لنصوص الكتاب والسنة صريحة في ان لم توبته كالكافر بلا دليل واما قول
المرجئة لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهو من افترائهم
ايضا على الله تعالى وعما ورد مما قد يؤيده لم يرد به ظاهره بدليل نصوص
اخر قاطع برهانها واضح بيانها فيجب على كل مسلم ان يعتقد ان جماعة من
عصاة المسلمين يدخلون النار لما ان انكار ذلك كفر اذ هو حينئذ تكذيب
النصوص القطعية الدالة على ذلك **ومنها** نقل امام الحرمين عن
الاصوليين ان من نطق بكلمة الردة وزعم انه اضمر تورية كفر ظاهرا وباطنا
واقرهم على ذلك ومن حصل له وسوسة فتردد في الايمان او الصانع او تعرض
بقلبه لتنقص او سب وهو كاره لذلك كراهة شرعية ولم يقدر على دفعه لم
يكن عليه شيء ولا اثم بل هو من الشيطان فليستعذ بالله على دفعه ولو كان
من نفسه لما كرهه ذكر ذلك ابن عبد السلام وغيره **ومنها** لا يحصل
الاسلام من كافر اصلي او مرتد الا بنطقه بالشهادتين وان كان معترفا
باحدهما ولو ابدل الاله في اشهد ان لا اله الا الله بالباري او الرحمن
او الملك او الرزاق جاز وكذا لو ابدل لا بما من فقال ما من اله او
الا بغير او سوى او عدا او الجلالة بالمحيي والمميت وهو غير طبائعي او
بالرحمن او الباري او من آمن به المسلمون او من في السماء او الملك او الرزاق
بخلاف ساكن السماء والفرق بينه وبين من في السماء ان الاول يقتضي
الجهة المستحيلة على الله تعالى عنها وعما يقول الظالمون والجاحدون علوا
كبيرا والقول بالجهة كفر عند كثير من العلماء فكيف يحصل الاسلام بما يشتمل
على الكفر بخلاف من في السماء فليس صريحا في ذلك اذ المراد من في السماء امره
وسلطانه ولانه موافق للفظ القرآن المؤول عند الخلف والسلف فلا
خلاف بينهم في ذلك خلافا لفرقة ضالة من الحنابلة وغيرهم وانما الخلاف
بينهما في انا نعين ذلك التاويل ونصرف الظاهر اليه وهو مذهب الخلف
او نؤول اجمالا ولا نعين شيئا بل نفوض علم ذلك تعيينه الى الله تعالى
وهو مذهب السلف واختاره بعض الائمة من المتاخرين واختار بعضهم
تفصيلا في ذلك وهو ان تعيين التاويل ان قرب من الظاهر وشهدت له

قواعد

قواعد اللغة والعربية بالقبول كان اولى والا فالتفويض اولى ومن تامل الايات والاحاديث
وجدها شاهدة للتاويل لان ظاهرها بدونه يوهم التناقض فوجب المصير اليه صونا لها عن
ذلك الايهام الا ترى الى قوله تعالى ثم استوى على العرش مع قوله ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وهو معكم اينما كنتم ومع جزلوا دليتم حبلا لوقع على الله فاخذ بتلك النصوص
يجب تاويلها اذ لا يمكن احدا ان يقول بظواهر تلك النصوص جميعا واذا وجب تاويل
بعضها وجب تاويل كلها اذ لا قايل بالفرق على ان الخلف لم يتفردوا بذلك بل اول جماعة
من السلف كمالك وجعفر الصادق رضى الله عنهما وغيرهما والحاصل مذهب اهل الحق في
هذه المسئلة ما قررته انه يجب على كل احد اعتقاده وانما يحصل ذلك بتنزيه الله جل وعلا
عن كل نقص صريحا او استلزاما بل وعن كل ما لا نقص فيه ولا كمال واعتقاد انه تعالى
انما اتصف باكمل الكمال المطلق في ذاته وارادته واسمائه وساير شئونه وافعاله
واما الشهادة الثانية فيجوز ان يبدل محمدا فيها باحمد او ابي القاسم والرسول
بالنبي ويشترط ترتيب الشهادتين فلو قال اشهد ان محمدا رسول الله واشهد
ان لا اله الا الله لا الموالاة بينهما ولا النطق بهما بالعربية لكن يشترط منهم ما يتلفظ
به ثم من كان كفره بانكار اصل رسالته صلى الله عليه وسلم كفاه الشهادتان او بتخصيصها
بالعرب كالعيسوية اشترط ان يقول رسول الله الى كافة الانس والجن واشارة
الاخرس كالنطق ولا يحصل الاسلام بغير ما مر كقوله آمنت فقط او آمنت بالذي
لا آله غيره او انا مسلم او انا من امة محمد او انا احبه او انا من المسلمين او ملتهم او دينهم حق
بخلاف قول من لم يكن مترددا بشيء آمنت بالله او اسلمت لله او الله خالقي او ربي
ثم اليهودي بالشهادة الاخرى فانه يصير مسلما ويندب امر كل من اسلم بالايمان بالبعث ويشترط
لنفع الاسلام في الآخرة مع ما مر تصديق القلب بوحدانية الله وكتبه ورسله واليوم
الآخر فان آمن بذلك بان صدق به بقلبه ولم يتلفظ بالشهادتين بلسانه مع القدرة
فهو باق على كونه مخلدا في النار ابدا كما نقل النووي عليه الاجماع لكن اعترض بان فيه
قولا للائمة الاربعة ان ايمانه ينفعه وغايته انه مؤمن عاص وان تلفظ بهما كنهما
بلسانه ولم يؤمن بقلبه فهو في الآخرة كافر اجماعا واما في الدنيا فيجري عليه احكام المسلمين
ظاهرا فان تزوج مسلمة ثم صدق بقلبه لم تحل له حتى يجدد النكاح بعد اسلامه

ومنها مذهب اهل الحق ان الايمان لا ينفع عند الغرغرة
ولا عند معاينة عذاب الاستيصال قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون نعم يستثنى من ذلك قوم يونس

فائدة في ايمان والدي نبينا صلى الله عليه وسلم

كما في قوله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ومتعناهم الى حين بناء على ان الاستثناء متصل وان ايمانهم كان عند معاينة
عذاب الاستيصال وهو قول عليه بعض المفسرين وعليه فوجه استثنائهم ان ذلك
وقع كرامة وخصوصية لنبيهم فلا يقاس عليها الا ترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم
قد اكرمه الله تعالى بحياة ابويه له حتى امنا به كما جاء في حديث صححه القرطبي وابن
ناصر الدين حافظ الشام وغيرهما فنفعهما الله تعالى بالايمان بعد الموت على خلاف
القاعدة اكراما لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والخصوصيات لا يقاس عليها ونازع
بعضهم في خبر احياء ابويه صلى الله عليه وسلم واطال فيه بما وردته عليه في التعاقب
وقد قال القرطبي وابن دحية وغيرهما لم تزل فضائله وخصائصه تتوالى و
تتابع الى حين وفاته فيكون هذا مما فضله الله تعالى به واكرمه وليس احياؤهما
وايمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا فقد احيا قتيل بني اسرائيل حتى اخبر بقاتله
وكان عيسى صلى الله عليه وسلم يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم احيى الله
تعالى على يديه جماعة من الموتى وحينئذ فاي مانع من احيائهما بعد موتهما زيادة
في كرامته وفضيلته وقد صح ان الله تعالى رد عليه صلى الله عليه وسلم الشمس بعد مغيبها
حتى صلى علي كرم الله وجهه العصر وكما اكرم بعود الشمس والوقت بعد فواته فكذا
اكرم بعود الحيات ووقت الايمان بعد فواته اكراما له ايضا ولا ينافي ذلك قول
بعض المفسرين في ولا تسأل عن اصحاب الجحيم نزلت في ابويه لان ذلك اعني
سبب نزولها لم يصح فيه شيء وعلى التنزل فالمراد اصحاب الجحيم لولا كرامتك
وجبر مسلم اليك وابائي في النار اما كان قبل علمه او قاله تطمينا وارشادا لذلك
الاعرابي فانه تغير لما قال له ابوك في النار واخذ علماء الامة ومجتهدوها الذين
عليهم المعول من الآية الاولى اعني قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا اجماعهم
على كفر فرعون وروى الترمذي في تفسيره في سورة يونس عليه السلام من طريقين
وقال في احديهما حديث حسن وفي الاخرى حديث حسن غريب صحيح وروى ابن
عدي والطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال خلق الله يحيى ابن زكريا في بطن امه
مؤمنا وخلق فرعون في بطن امه كافرا واما ما حكاه الله تعالى عنه في سورة يونس
بقوله عز قائلا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو
اسرائيل وانا من المسلمين فهو لا ينفعه بدليل قوله تعالى عقبه الآن وقد عصيت
قبل وكنت من المفسدين وسبب ذلك مع انه كرر الايمان مرتين بناء على فتح آنه وثلاثا

بناء

بناء على كسرها انه انما آمن عند نزول عذاب الاستيصال له ولقومه والايمان حينئذ
غير نافع لما تواترت ايضا فانه انما كان تقليدا محضا بدليل قوله الا الذي آمنت
به بنو اسرائيل فكانه اعترف بانه لا يعرف الله وانما سمع من بني اسرائيل ان للعالم
الها فآمن بذلك الاله الذي سمع بني اسرائيل يقرون بوجوده فآمن به وهذا هو محض
التقليد على انه كان دهريا منكرا لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الخبيث
البالغ نهاية القبح والفحش لا يزول بتقليد محض بل لا بد بذ من دليله من ان يكون
برهانا قطعيا وعلى التنزل فلا يدل على اسلام الدهري ونحوه ممن كان قد دان
بشيء من ان يقر ببطلان ذلك الشيء الذي كفر به فلو قال آمنت بالذي لا اله غيره
لم يكن مسلما كما مر وفرعون لم يعترف ببطلان ما كان كفر به من نفي الصانع والهيته
لنفسه وقوله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل لا يؤدي ما الذي اراد به فاذا
صرح الائمة في آمنت بالذي لا اله غيره بانه لا يحصل الايمان لاحتماله لكذا فيما
قاله وعلى التنزل فالاجماع منعقد على ان الايمان بالله مع عدم الايمان
بالرسول لا يصح فلو سلمنا ان فرعون آمن بالله ايمانا صحيحا وهو لم يؤمن
بموسى صلى الله عليه وسلم ولا تعرض له حينئذ اصلا فلم يكن ايمانه نافعا الا ترى
ان الكافر لو قال الوف من المرات اشهد ان لا اله الا الله او الذي آمن به
المسلمون لا يكون مؤمنا حتى يقول وان محمدا رسول الله فان قلت السحرة
لم يتعرضوا في ايمانهم للايمان بموسى ومع ذلك قبل ايمانهم قلت ممنوع بل تعرضوا
لذلك بقولهم آمنا برب العالمين رب موسى وهرون على ان ايمانهم في ايمان
بمعجزة موسى وهي العصا التي تلقفت ما صنعوا والايمان بالله مع الايمان
بمعجزة الرسول ايمان بالرسول فهم آمنوا بموسى صريحا بخلاف فرعون لانه لم
يؤمن صريحا ولا اشارة بل ذكره بني اسرائيل دون موسى مع انه الرسول الحق العا‌رف
بالاله وما لا يليق به والهادي الى طريقه فهذا اشارة ما الى بقائه على كفره به
فان قلت صرح الامام القاضي عبد الصمد الحنفي في تفسيره ان مذهب الصوفية
ان الايمان ينتفع به ولو عند معاينة العذاب وهذا يدل على انه مذهب قديم
لان القاضي المذكور وهو متقدم كان موجودا اوائل المائة الخامسة يؤسسه
ثلثين دار بجاية فان الذهبي والحد الفاصل بين العلماء المتقدمين
والمتاخرين راس القرن الثالث وهو الثلثمائة واذا كان مذهب الصوفية
ذلك فكيف ساغ الاجماع على كفر فرعون قلت لو سلمنا صحة ذلك عن الصوفية

الذين هم من اهل الاجتهاد الحول عليهم حتى لا ينعقد الاجماع مع مخالفتهم لم يرد
ذلك علينا ولم يخل به ما قدمنا من اجماع الامة على كفر فرعون لانا لم نحكم بكفره
لاجل ايمانه عند الباس فحسب بل لما انضم اليه من انه لم يؤمن بما بعد ايمانا صحيحا
وعلى التنزل فهو لم يؤمن بموسى اصلا فلا يرد ما حكي عن مذهب الصوفية على
ما قررناه فان قلت قد قال الامام العارف المحقق محيي الدين العربي
في فتوحاته المكية بصحة الايمان عند الاضطرار وان فرعون مؤمن فانه قال
ما حاصله لما حال الغرق بين فرعون وبين الجاه لجا الى ما تحققه باطنه والى ما
اعطاه باطنه مما كان عليه من الذلة والافتقار فقال آمنت انه لا اله الا الذي
آمنت به بنو اسرائيل لرفع الاشكال كما قالت السحرة لما آمنت آمنا برب
العالمين رب موسى وهرون لرفع الارتياب وازاحة الاشكال ثم قال وانا
من المسلمين فخاطبه بلسان العتب الآن اظهرت ما كنت قبل علمته وقد عصيت
قبل وكنت من المفسدين في اتباعك فاليوم ننجيك فبشره قبل قبض روحه
لتكون لمن خلفك آية اي لتكون النجاة علامة له اذ قال بما قلته كانت له
النجاة مثل ما كانت لك اذ العذاب ما تعلق الا بظاهره وقد اراه
الخلق نجاته من العذاب فكان ابتداء الغرق عذابا وصار الموت فيه شهادة
خالصة كل ذلك حتى لا ييأس احد من رحمة الله فانه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون والاعمال بالخواتيم واما قوله تعالى فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا فكلام محقق في غاية الوضوح فان النافع هو الله
فما نفعهم الا الله وقوله سنة الله التي قد خلت في عباده يعني الايمان عند
رؤية الباس وانما قبض فرعون ولم يؤخر اجله في حال ايمانه لئلا يرجع
الى ما كان عليه من الدعوى واما قوله تعالى فاوردهم النار فما فيه نص انه
يدخلها معهم بل قال الله تعالى ادخلوا آل فرعون ولم يقل ادخلوا فرعون
ورحمة الله اوسع من حيث ان لا يقبل ايمان المضطر واي اضطرار اعظم
من اضطرار فرعون في حال الغرق والله تعالى يقول امن يجيب المضطر
اذا دعاه ويكشف السوء فقرن للمضطر اذا دعاه الاجابة وكشف السوء
عنه فلم يك عذابه اكثر من الغرق في الماء انتهى كلامه فهل هذا الكلام
مؤثر او مردود فما وجه رده قلت ليس هذا الكلام مؤثرا وان كنا نعتقد
جلالة قائله فان العصمة ليست الا للانبياء ولقد قال مالك رضي الله عنه

وعن

وغيره ما من احد الا ماخوذ منه قوله ومردود عليه الا صاحب القبر يعني النبي صلى الله
عليه وسلم على انه قد نقل عن بعض كتب ذلك الامام انه صرح فيها بان فرعون مع
هامان وقارون في النار واذا اختلف كلام امام فيوخذ منه بما يوافق الادلة
الظاهرة ويعرض عما خالفها بل قد مر لك ان الآية وحديث الترمذي الصحيح صريحان
في بطلان الايمان عند الباس فلا يلتفت بعد ذلك الى ما مر من تاويل فلم يك
ينفعهم ايمانهم فان النافع هو الله وايضا فما يبطل هذا التاويل ان اصطلاح
القرآن والسنة اضافة الاشياء الى اسبابها فاذا قيل لا ينفع الايمان فليس
معناه الشرعي الا الحكم عليه بانه باطل لا يعتد به واي معنى سوغ لهذا القائل
ان يخص نفع الله بهذه الحالة التي هي حالة وقوع العذاب مع النظر الى ما هو
الواقع الحق من ان الله هو النافع حقيقة في كل وقت ولو نفعهم الله لما استاصلهم
بالعذاب وقوله وخسر هنالك الكافرون دليل واضح على ان المراد بلم يك ينفعهم
ايمانهم انهم باقون مع ذلك الايمان على الكفر وكفى بتفسير ائمة الصحابة والتابعين
ومن بعدهم الموافق للحديث الصحيح والاجماع السابقين الآية بما يوافق
ما ذكرناه واذا ثبت واتضح انه لا يصح ايمان الباس ثبت ان ايمان فرعون
لا يصح على انا قدمنا انا ولو قلنا بصحة ايمان الباس فالآية دالة على انه
لا يصح ايمانه ايضا لعدم ايمانه بموسى وهرون صلى الله عليهما وسلم بخلاف السحرة
ومن تامل صيغة ايمانه مع صيغة ايمانهم المحكيين عنهما في القرآن علم اتضاح ما
بين الايمانين فلا يصح الى قياس احدهما على الآخر وقوله انه لجا الى ما اعطاه
باطنه مما كان عليه من الذلة والافتقار عجيب واي ذلة وافتقار كان عليهما
باطنه وهو منكر ربوبية رب الارباب ومعتقد انه الاله المطلق والرب الاكبر
ويوذي موسى ويكذبه ويحاربه نهاية هو ذلك الا كاذب جهل ومن ثم سماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرعون هذه الامة وبتسليم ان باطنه كان عليهما لا ينفع
لهما مع عدم الايمان الصحيح وحمل الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
على العتب في غاية البعد اذ لو صح اسلامه وايمانه لكان الانسب بمقام الفضل
الذي طمح اليه نظر الشيخ ان يقال له الآن نقبلك ونكرمك لاستلزام صحة ايمانه
رضى الحق عنه ومن وقع له ذلك الرضا الاكبر لا يقال له باعتبار رعاية مقام الفضل
جوابا لايمانه الصحيح الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين لان كل احد
لو ادنى روية وتلقيه يقطع بان هذا الخطاب انما يخاطب به المغضوب عليه

لا المرضي عنه وتخصيص وكنت من المفسدين بما مر يا باه هذا السياق الذي تنزل لانه
اذا صح ايمانه محي عنه ما عصاه وافسده في اتباعه وغيرهم فكيف مع ذلك النحو العظيم
يعاتب ويخاطب بذلك التانيب المحض والتوبيخ الصرف والتوبيخ الحق فلم يكن
هذا الا لاقامة اعظم نواميس الغضب عليه وتذكيره بقبائحه التي قدمها واعلامه بانها
هي التي منعته عن النطق بالايمان الى آخر رمق منه فلم ينفعه النطق بها حينئذ سيما
وهو باعث على تكذيبه برسوله وعناده للآيات واعراضه عن جنابه وتخصيص النجاة
بالبدن اعدل شاهد على انه لم يرد بها الا ما قاله المفسرون واطبق عليه المعتبرون
من انهم لم يصدقوا بغرقه سيما مع دعواه الالهية وان مثله لا يموت فالقي بنجوة من الارض
اي ربوة مرتفعة وعليه درعه ليعرف بها والعرب تطلق البدن على الدرع وكانت
له درع يعرف بها ويؤيده القراءة الشاذة بابدانك اي دروعك لانه كان يلبس كثيرا
منها خوفا على نفسه او وهو عريان لا شيء ليستره او انه بدن بلا روح ولا ينافيه
القراءة المذكورة لانه عليها جعل كل جزء من بدنه بدنا على حده شابت مفارقته وقري
شاذا ايضا ننحيك بالحاء المهملة اي نلقيك بناحية مما يلي البحر قال المفسرون
رماه الي جانب البحر كالثور ليكون لمن خلفه من بني اسرائيل وغيرهم علامة على ان
مثله ممن تجبر وتكبر على الله لا بد وان يقصم ويوخذ على غاية من الذلة والمهانة ليزجر
الناس عن مثل طريقته ومع ما في تخصيصه من بين سائر قومه بالاخراج من الدلالة
على باهر قدرة الله تعالى وصدق موسى نبيه فيما جاء به ثم ختم تعالى هذا المقام بقوله عز
قائلا وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون زجرا لهذه الامة المحمدية عن الاعراض
عن الدلائل وبعثا لهم على التامل فيها والاعتبار بها كما قال تعالى لقد كان في
قصصهم عبرة لاولي الالباب

ومنها دلت الايات والاحاديث

على ان عذاب الكفار في جهنم دائم مؤبد وما ورد مما يخالف ذلك يجب تاويله
فمن ذلك قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك ان ربك فعال لما يريد فظاهره ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات
والارض الا ما شاء الله من هذه المدة فلا يكونون فيها خالدين وقد اوله العلماء
بنحو عشرين وجها يرجع بعضها الى حكمة التقييد بمدة دوام السموات والارض
وبعضها الى حكمة الاستثناء ومعناه فمن الاول ان المراد سموات الجنة وارضها
اذ السماء كل ما علاك والارض كلما استقريت عليه وكون الجنة والنار لهما
سماء وارض بهذا الاعتبار امر قطعي لا يخفى على احد فاندفع التنظير في هذا القول

بانه

بانه لا يجوز حمل ما في الآية عليه لانه غير معروف للمخاطبين وسماوات الدنيا وارضها
فاجري ذلك على عادات العرب في الاخبار عن دوام الشيء وتابيده بذلك ونحوه
كقولهم لا آتيك ما دامت السموات والارض او ما جن ليل وسال سيل او
ما اختلف الليل والنهار او ما صام البحر او ما قام الجبل لانه تعالى يخاطب
العرب على عرفهم في كلامهم وهذه الالفاظ في عرفهم تفيد الابد والدوام وعن
ابن عباس ان جميع الاشياء المخلوقة اصلها من نور العرش وان السموات
والارض في الآخرة يردان الى النور الذي خلقتا منه وهما دائمتان ابدا من نور
العرش ثم هذا الجواب انما يحتاج اليه بناء على ان مفهوم التقييد بدوام
السموات والارض انهم لا يبقون في النار الا بقدر مدة دوامهما من حين
ايجادهما الى حين اعدامهما ومنع بعضهم ذلك بان المفهوم من الآية انهما
متى كانتا دائمتين كان كونهم في النار باقيا وحقيقة ذلك انه كلما حصل
الشرط وهو دوامهما حصل المشروط وهو بقاؤهم في النار ولا يقتضي انه اذا
عدم الشرط يعدم المشروط ونظيره انك اذا قلت ان كان هذا انسانا فهو
حيوان ثم قلت لكنه انسان انتج انه حيوان او لكنه ليس بانسان لم ينتج
انه ليس بحيوان لان استثناء نقيض المقدم عقيم فكذا هنا اذا قلنا ما
دامتا يبقى عقابهم ثم قلنا لكنهما دائمتان لزم دوام عقابهم او لكنهما ما بقيتا
لم يلزم عدم دوام عقابهم لا يقال اذا دام عقابهم بقيتا او عدمتا فلا
فائدة التقييد بدوامهما لانا نقول بل فيه اعظم الفوائد وهو دلالته على
بقاء ذلك العذاب دهرا دائما طويلا لا يحيط العقل بقدر طوله وامتداده
فاما انه هل لذلك العذاب آخر ام لا فذلك يحصل من ادلة اخرى وهو الآيات
المصرحة بتأبيد خلودهم المستلزم انه لا آخر له ومعنى الثاني انه استثناء من
فيها لانهم يخرجون من النار الى الزمهرير والى شرب الحميم ثم يعودون فيها فهم
خالدون فيها ابدا الا في تلك الاوقات فانها وان كانت اوقات عذاب
ايضا الا انهم ليسوا حينئذ فيها حقيقة او ان ما لمن يعقل كانكحوا ما طاب لكم
من النساء وحينئذ فيكون استثناء لعصاة المؤمنين من ضمير خالدين فيها متصلا على
شمول شقوا لهم او منقطعا بناء على عدم شموله لهم وهو الاظهر او انه منقطع
والا بمعنى سوى اي ما دامتا سوى ما شاء ربك زيادة على ذلك وبقيت
اجوبة كثيرة اعرضت عنها لبعدها ولا ينافي ذلك ما رواه احمد عن عبد الله بن عمر

ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها
احقابا لان في سنده من قالوا انه غير ثقة وصاحب اكاذيب كثيرة عظيمة نعم نقل
غير واحد هذه المقالة عن ابن مسعود وابي هريرة قال ابن تيمية وهو قول عمر بن الخطاب
وابن عباس وابن مسعود وابي هريرة وانس وذهب اليه الحسن البصري وحماد بن
سلمة وبه قال علي بن طلحة الوالبي وجماعة من المفسرين انتهى ويرد ما نقله عن الحسن
قول غيره من العلماء قال ثابت سالت الحسن عن هذا فانكره والظاهر ان هؤلاء
الذين ذكرهم لم يصح عنهم من ذلك شيء وعلى التنزل فيحمل كلامهم كما قاله العلماء
ليس فيها احد من عصاة المسلمين اما مواضع الكفار فهي ممتلئة بهم لا يخرجون عنها ابدا
كما ذكره الله تعالى في آيات كثيرة وفي تفسير الفخر الرازي قال قوم ان عذاب الله منقطع
وله نهاية واستدلوا بهذه الآية وفي الذين فيها احقابا وبان معصية الظلم متناهية
فالعقاب عليها بما لا يتناهى ظلم انتهى والجواب عن الآية ان قوله تعالى احقابا
لا يقتضي ان له نهاية لما ان العرب يعبرون به وبنحوه عن الدوام ولا ظلم في ذلك
لان الكافر كان عازما على الكفر ما دام حيا فعوقب دائما فهو لم يعاقب بالدوام
الا على دائم فلم يكن عذابه الا جزاء وفاقا واعلم ان التقييد والاستثناء في
اهل الجنة ليس المراد بهما ظاهرهما باتفاق الكل لقوله غير مجذوذ فيؤول
بنظير ما مر ويكون المراد بما اذا جعلناها بمعنى من اهل الاعراف وعصاة المؤمنين
الذين لم يدخلوها الا بعد قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل
الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار

خاتمة

اخرج ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم قال للكعبة ما اطيبك واطيب ريحك
ما اعظمك واعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن اعظم عند الله حرمة
منك ماله ودمه وان يظن به الا خيرا واحمد والنسائي وابن حبان والحاكم من
يعبد الله لا يشرك به شيئا ويقيموا الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويجتنب
الكبائر فان له الجنة قالوا وما الكبائر قال الاشراك بالله وقتل النفس
المسلمة الحديث والنسائي وابن حبان والحاكم من يعبد الله لا يشرك به شيئا
والبيهقي انا زعيم لمن آمن بي واسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة اي اسفلها
وبيت في وسط الجنة وبيت في اعلى غرف الجنة فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا
ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء ان يموت وابن ماجة والحاكم من فارق
الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له واقام الصلوة وايتاء الزكوة مات

د الله عنه راض واحمد ومسلم ان الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة يعطي عليها في الدنيا ويثاب
عليها في الآخرة واما الكافر فيعطى بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن
له حسنة يعطى بها جزاء والطبراني لا يقبل ايمان بلا عمل ولا عمل بلا ايمان والبخاري
والترمذي اني رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي يقول
احدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت اذنك واعقل عقل قلبك انما
مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم بعث رسولا يدعو الناس
على طعامه فمنهم من اجاب الرسول ومنهم من تركه فالله هو الملك والدار هو الاسلام والبيت
الجنة وانت يا محمد رسول من اجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن
دخل الجنة اكل ما فيها وابو نعيم ان الله يعذب الموحدين في جهنم بقدر نقصان ايمانهم
اي اعمالهم ثم يردهم الى الجنة خلودا دائما ابدا بايمانهم واحمد وغيره طوبى لمن رآني
وآمن بي مرة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات وفي رواية للطيالسي ثلث مرات
والطبراني والحاكم افلح من هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به ومسلم اما علمت
ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله

الكبيرة الثانية الشرك الاصغر وهو الرياء

قد شهد بتحريمه الكتاب والسنة وانعقد عليه اجماع الامة اما الكتاب ففي قوله
عز قائل فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون
الماعون وقال تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك
هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي بعمله ومن ثم نزلت فيمن
يطلب الاجر والحمد بعبادته واعماله وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا واما السنة فمنها ما رواه احمد ان اخوف ما اخاف عليكم
الشرك الاصغر الرياء يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جزي الناس باعمالهم
اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا انظروا هل تجدون عندهم جزاء والطبراني
ان ادنى الرياء شرك واحب العبيد الى الله الاتقياء الاسخياء الاخفياء اي
المبالغين في ستر عباداتهم وتنزيها عن شوائب الاغراض الفانية والاخلاق
الدنية الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا شهدوا اي حضروا لم يعرفوا اولئك ائمة
الهدى ومصابيح العلم والطبراني الشهوة الخفية والرياء شرك وابن ماجه
اخوف ما اخاف على امتي الاشراك بالله اما اني لست اقول يعبدون شمسا ولا قمرا

ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله وشهوة خفية والترمذي الحكيم الشرك اخفى في امتي من دبيب
النمل على الصفا والحاكم الشرك اخفى ان يعمل الرجل لمكان الرجل والترمذي والحكيم والحاكم
وابو نعيم الشرك اخفى في امتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وادناه
ان تحب على شيء من الجور او تبغض على شيء من العدل وهو الدين الا الحب في الله والبغض
في الله قال تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله والترمذي وحسنه والحاكم ان
الله اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد اي يتجلى لهم تجليا منزها عن الحركة والانتقال
وسائر لوازم الجهات والاجسام ليقضي بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجل
جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ الم اعلمك
ما انزلت على رسولي قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت اقوم
به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله
له بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله
له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فماذا عملت
فيما آتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله له كذبت ويقول الله له بل
اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول
الله له فيماذا قتلت فيقول امرت بالجهاد في سبيل الله فقاتلت حتى قتلت فيقول
الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله له بل اردت ان يقال فلان جريء
اي شجاع فقد قيل ذلك يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق تسعر بهم النار
يوم القيامة واحمد ومسلم والنسائي ان اول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل
استشهد فاتي به فعرفه اي الله نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت
فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل ثم امر به
فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرا القرآن فاتي به فعرفه
فقال فما عملت فيها فقال تعلمت العلم وعلمته وقرات فيك القرآن قال كذبت
ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرات القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم امر به
فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف
المال كله فاتي به فعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل
تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد
فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه ثم القي في النار والحاكم اول الناس يدخل
النار يوم القيامة ثلاثة نفر يؤتى بالرجل فيقول رب علمتني الكتاب فزاته ليلا

الليل

الليل والنهار وأنفقها حاتها رجاء ثوابك فيقول كذبت انما كنت تصلي ليقال انك
قارئ مصلي وقد قيل اذهبوا الى النار ثم يؤتى بآخر فيقول رب رزقتني مالا فوصلت
به الرحم وتصدقت به على المساكين وحملت به ابن السبيل رجاء ثوابك وجنتك فيقال
كذبت انما كنت تتصدق وتصلي ليقال انه سمح جواد وقد قيل اذهبوا به الى النار
ثم يجاء بالثالث فيقول رب خرجت في سبيلك فقاتلت فيك حتى قتلت مقبلا غير
مدبر رجاء ثوابك وجنتك فيقال كذبت انما كنت تقاتل ليقال انك جرى شجاع
وقد قيل اذهبوا به الى النار والحاكم ثلثة يهلكون عند الحساب جواد وشجاع وعالم
واحمد والترمذي وابن ماجة اذا جمع الله الاولين والآخرين ليوم لاريب فيه
نادي مناد من كان اشرك في عمل عمله الله احدا فليطلب ثوابه من عنده فان الله
اغنى الشركاء عن الشرك والطيالسي واحمد ان الله تعالى يقول انا خير قسيم لمن
اشرك بي من اشرك بي شيئا فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذي اشرك به انا عنه غني
ومسلم وابن ماجة قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك
فيه معي غيري تركته وشركه وسمويه اذا كان يوم القيمة يؤتى بصحف مختمة فتنصب
بين يدي الله تعالى فيقول الله للملائكة اقبلوا هذا والقوا هذا فتقول الملائكة
وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لغيري ولا اقبل اليوم الا ما ابتغي
به وجهي وفي رواية اذا كان يوم القيمة يجاء بالاعمال في صحف مختمة فيقول الله
عز وجل اقبلوا هذا وردوا هذا فيقول الملائكة وعزتك ما كتبنا الا ما عمل فيقول
ان عمله كان لغير وجهي واني لا اقبل اليوم الا ما كان لوجهي وفي اخرى لابن عساكر
والدارقطني يجاء يوم القيمة بصحف مختومة فتنصب بين يدي الله عز وجل
فيقول الله للملائكة القوا هذا واقبلوا هذا فيقول الملائكة وعزتك ما رأينا
الا خيرا فيقول هو اعلم ان هذا كان لغيري لا اقبل اليوم من العمل الا ما كان ابتغي
به وجهي وفي اخرى له مرسلة لابن المبارك ان الملائكة يرفعون اعمال العبد من عباد
الله يستكثرونه ويزكونه حتى يبلغوا به الى حيث شاء الله من سلطانه فيوحي الله
اليهم انكم حفظة على عمل عبدي وانا رقيب على ما في نفسه ان عبدي هذا لم يخلص
من عمله فاجعلوه في سجين ويصعدون بعمل العبد يستقلونه ويحقرونه حتى يبلغوا
به الى حيث شاء الله من سلطانه فيوحي اليهم انكم حفظة على عمل عبدي وانا
رقيب على نفسه ان عبدي هذا اخلص في عمله فاجعلوه في عليين وابن سعد
اذا كان يوم القيمة نادي مناد من عمل عملا لغير الله فليطلب ثواب عمله له

وابن ماجة ان الله يحب الابرار الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا
واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة والبخاري
في التاريخ والترمذي وابن ماجة تعوذوا بالله من جب الحزن واد في جهنم تتعوذ
منه جهنم كل يوم اربعماية مرة يدخله القراء المراؤن باعمالهم وان ابغض القراء الى
الله تعالى الذين يزورون الامراء وفي رواية للطبراني ان في جهنم لواديا تستعيذ
جهنم من ذلك الوادي في كل يوم اربعماية مرة اعد ذلك الوادي للمرائين من امة
محمد للحامل كتاب الله وللمتصدق في غير ذات الله وللحاج الى بيت الله و
للخارج في سبيل الله واحمد ومسلم من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به واحمد
والبخاري وابن ماجة من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به ومن شاق شق الله
عليه يوم القيامة والعقيلي والديلمي ابغض العباد الى الله من كان ثيابه خيرا من عمله
ان يكون ثيابه ثياب الانبياء وعمله عمل الجبارين وابو عبد الرحمن السلمي في سنن
الصوفية والديلمي احذروا الشهرتين الصوف والخز اشد الناس عذابا يوم القيامة
من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه وابو نعيم والديلمي ان الله حرم الجنة
على كل مراءى والديلمي ان الارض لتعج الى الله من الذين يلبسون الصوف رياء
وابن ماجة رب صايم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قايم ليس له من قيامه
الا السهر واحمد والطبراني والحاكم رب قايم حظه من قيامه السهر ورب صايم
حظه من صيامه الجوع والعطش والديلمي ريح الجنة توجد من مسيرة خمسماية عام
ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الاخرة والطبراني وابو يعلى والبيهقي من احسن الصلوة
حيث يراها الناس ثم اساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه والطبراني
من تزين بعمل الاخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها لعن في السموات والارض وابن عدي
اذا تزين القوم بالاخرة وتجملوا للدنيا فالنار ماويهم والطبراني من راءى بالله
لغير الله فقد برئ من الله والطبراني من قام مقام رياء وسمعة فانه في مقت الله
حتى يجلس واحمد والترمذي وابن ماجة من يرائي يرائي الله به ومن يسمع يسمع الله
به وهو بتشديد الميم اي من يظهر عمله للناس رياء يسمع الله به اي يفضحه يوم القيامة
ومعنى من راءى راءى الله به اي من اظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم وليس هو
كذلك راءى الله به اي اظهر سريرته على رؤس الخلايق واحمد والشيخان وابو داود
المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور والحكيم الترمذي الشرك في امتي اخفى من دبيب
النمل على الصفا اي الحجر الاملس واحمد والطبراني ايها الناس اتقوا الشرك فانه

اخفى

اخفى من دبيب النمل قالوا وكيف نتقيه يا رسول الله قال قولوا اللهم انا نعوذ
بك ان نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قال لابي بكر رضي الله عنه الشرك فيكم اخفى من دبيب النمل وسادلك على شيء
اذا فعلته اذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك
وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم تقولها ثلث مرات وفي اخرى عند الترمذي الحكيم
عن ابن جريج يا ابا بكر الشرك اخفى فيكم من دبيب النمل ان من الشرك ان
يقول الرجل ما شاء الله وشئت ومن الند ان يقول الرجل لولا فلان لقتلني فلان
افلا ادلك على ما يذهب الله به عنك صغار الشرك وكباره تقول كل يوم ثلث مرات
اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم واحمد والطبراني
والحاكم وابو نعيم والبيهقي اتخوف على امتي الشرك والشهوة الخفية قيل يا رسول
الله اتشرك امتك من بعدك قال نعم اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا
وثنا ولكن يراؤن الناس باعمالهم والشهوة الخفية ان يصبح احدهم صائما
فيعرض له شهوة من شهواته فيواقعها ويدع صومه والديلمي ان الرجل ليعمل عملا
سرا فيكتبه الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحى من السر ويكتب
علانية فان عاد تكلم الثانية محي من السر والعلانية وكتب رياء والخطيب
لله الله تعالى يقول انا خير شريك فمن اشرك معي شيئا فهو لشريكي يا ايها الناس
اخلصوا اعمالكم فان الله لا يقبل من الاعمال الا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم
فانه للرحم وليس لله منه شيء وابو داود بسند صحيح من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله
عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة اي
ريحها الطيب والطبراني ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر الرياء يقال
لمن يفعل ذلك اذا جاء الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فاطلبوا
ذلك عندهم واحمد والحاكم والبيهقي الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي من
المسيح الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان الرجل والديلمي اياكم ان تخلطوا
طاعة الله تعالى بحب ثناء العباد فتحبط اعمالكم والبيهقي ايها الناس اياكم وشرك
السرائر ان يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس اليه فذلك
شرك السرائر وفي رواية له اياكم وشرك السرائر الا يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته
جاهدا الا انه يتم ركوعها وسجودها الا انه يلحظ من الحدث والنظر فذلك شرك السرائر
وفي رواية له اياكم وشرك السرائر ان يتم ركوعها وسجودها الخ وابو نعيم الشرك اخفى

في ابيه من دبيب النمل على الصفا وليس بين العبد والكفر الا ترك الصلاة وابن
جرير والنسائي قال الله عز وجل من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا اغنى
الشركاء عن الشرك والبيهقي ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء الا سمع الله
به على رؤس الخلائق يوم الجمعة اي القيمة لانه فيه الجمع الاعظم والديلمي من تزين
للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شانه الله عز وجل والحاكم من تزين للناس بقوله ولباسه
وخالف ذلك في اعماله فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين والطيالسي
واحمد والطبراني والحاكم والبيهقي من صلى وهو يرائي فقد اشرك ومن صام وهو
يرائي فقد اشرك ومن تصدق وهو يرائي فقد اشرك واحمد وابن سعد ويعقوب
بن سفيان والبغوي وابن السكن والباوردي وابن منده وابن قانع والطبراني
وابونعيم من يسمع يسمع الله به ومن يرائي يرائي الله به ومن كان ذا لسانين في الدنيا
جعل الله له لسانين من نار يوم القيمة والطبراني وابونعيم والبيهقي وابن عساكر
وابن النجار يؤمر بناس وفي رواية بفئة اي جماعة من الناس يوم القيمة الى الجنة
حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها
فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون
والاخرون بمثلها فيقولون ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريناه ما اريتنا من
ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذلك اردت منكم
يا اشقياء كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم
مخبتين تراؤن الناس باعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم
تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي اليوم
اذيقكم العذاب مع ما حرمتم من الثواب وفي رواية فاليوم اذيقكم اليم عقابي
مع ما حرمتكم من جزيل ثوابي وابونعيم لا يسمع الله من مسمع ولا مراء ولا لاه
ولا لاعب والديلمي اذا كان يوم القيمة نادى مناد ليسمع اهل الجمع الذين كانوا
يعبدون الناس قوموا وخذوا اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل عملا خالطه شئ من
الدنيا واهلها والذهبي سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما النجاة قال صلى
الله عليه وسلم ان لا تخادع الله قال وكيف يخادع الله قال ان تعمل بما امرك الله ورسوله
وتريد به غير وجه الله فاتقوا الرياء فانه الشرك بالله وان المرائي ينادى عليه يوم القيمة
على رؤس الخلائق باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وبطل اجرك
فلا خلاق اي نصيب لك اليوم فالتمس لك ممن كنت تعمل له يا مخادع ...

أما الإجماع فهو واضح بعد أن علمت ما جاء فيه من تلك النصوص
القطعية في الأحاديث الصحيحة الشهيرة ومن ثم تطابقت كلمات الأئمة على ذمه
وأطبقت الأمة على تحريمه وعظيم إثمه وقد قال عمر رضي الله عنه لمن رآه يطأطئ
رقبته يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وإنما الخشوع في
القلب ورأى أبو أمامة رجلا يبكي في المسجد في سجوده فقال أنت أنت لو كان
هذا في بيتك وقال علي كرم الله وجهه للمرائي ثلث علامات يكسل إذا كان وحده
وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم وقال يعطى
العبد على نيته ما لا يعطى على عمله لأن النية لا رياء فيها وقال عبادة بن الصامت
رضي الله عنه لمن قال أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد وجه الله ومحمدة الناس لا شيء
لك لا شيء لك لا شيء لك إن الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك الحديث
وقد ذم غير واحد من السلف من يقول هذا لوجه الله ووجه فلان فإن الله لا شريك له
وقال قتادة إذا راءى العبد يقول الله تعالى عبدي يستهزئ بي وقال إبراهيم
بن أدهم رضي الله عنه ما صدق الله تعالى من أراد أن يشتهر وقال الفضيل
رضي الله عنه من أراد أن ينظر إلى مراء فلينظر إلي وقال آخر ترك العمل لأجل الناس
رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وقال بعض
الحكماء مثل من يعمل رياء وسمعة كمثل من ملأ كيسه حصا ثم دخل السوق ليشتري
به فإذا فتحه بين يدي البائع افتضح وضرب به وجهه فلم يحصل له به منفعة سوى
قول الناس ما ملأ كيسه ولا يعطى به شيئا فكذلك من عمل للرياء والسمعة لا منفعة له
في عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة قال الله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا أي الأعمال التي قصد بها غير وجه الله تعالى يبطل ثوابها
لأنها صارت كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس **تنبيهات**
منها الرياء مأخوذ من الرؤية والسمعة من السماع وحد الرياء المذموم إرادة العامل
بعبادته غير وجه الله تعالى كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته وكماله حتى يحصل له منهم
نحو جاه أو مال أو ثناء إما بإظهار نحول وصفرة ونحو تشعث شعر وبذاذة هيئة وخفض
صوت وغض جفن إيهاما لشدة اجتهاده في العبادة وحزنه وقلة أكله وعدم مبالاته
بأمر نفسه لاشتغاله عنها بالأهم وتوالي صومه وسهره وإعراضه عن الدنيا وأهلها وما دري
المخذول أنه أقبح من أراذلهم كالمكاسين وقطاع السبيل وأمثالهم لأنهم معترفون
بذنوبهم لا عزم لهم في الدين بخلاف ذاك المخذول الممقوت وإما بإظهار زي الصالحين

كاطراق الرأس في المشي والهدوّ في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه ولبس الصوف
وخشن الثياب وتقصيرها وغير ذلك ايهاما انه من العلماء او السادة الصوفية
رضي الله عنهم محبيهم وخذل مبطليهم مع الافلاس عن حقيقة العلم او التصوف
باطنه وما درى المخادع ان كل ما وصل اليه لاجل هذا التلبيس حرام عليه فتوله
فان قبله كان فاسقا لاكله اموال الناس بالباطل واما بالوعظ والتذكير
واظهار حفظ السنن ولقاء المشايخ واتقان العلوم وغير ذلك من الطرق الكثيرة
اذ الرياء بالقول كثير وانواعه لا تنحصر واما بالعمل كتطويل اركان الصلاة وتحسينها
واظهار التخشع فيها وكذا الصوم والحج وغيرهما من العبادات وانواع الرياء بالاعمال لا تنحصر ايضا وربما ان المرائي من شدة حرصه على احكام الرياء واتقانه يبالغ في
ذلك فيفعله في خلواته ليكون ذلك خلقا له في الملا لا للخوف من الله تعالى والحياء منه
واما بالاصحاب والزائرين والمخالطين كمن يطلب من عالم او امير او صالح ان ياتي
اليه لزيارته ايهاما للرفعة وبتبرك الاكابر به وكمن يذكر انه لقي شيوخا كثيرة افتخارا
بهم وترفعا بذلك على غيره فهذه مجامع ابواب الرياء الحامل اياه عليها طلب نحو الجاه
والمنزلة واشتهار الصيت حتى تنطلق الالسنة بالثناء عليه وجلب الحطام
من سائر الافاق اليه **منها** حيث اطلق الرياء على لسان حملة الشرع فالمراد به
المذموم الذي مر حده ثم انه لم يقصد غير الرياء فعباداته باطلة ولا يحصل له من
السوء غير ذلك بل عليه عظيم الاثم وقبيح الذم كما علم تفصيل ذلك من الآيات
والاحاديث السابقة والمجمع في تحريمه وكونه كبيرة وشركا مقتضيا للعن ان فيه استهزاء
بالحق تعالى كما مرت الاشارة في الاحاديث ومن ثم قال قتادة كما مر اذا راءى
العبد قال الله انظروا اليه كيف يستهزئ بي ويوضحه ان احد خدام الملك لو قام بين يديه
في خدمته لو كان قاصدا بوقوفه فيها ملاحظة امة او امرد للملك كان ذلك عند كل من
له ادنى مسكة من عقل استهزاء بذلك الملك لانه لم يقصد تقربا اليه بوجه مع ايهامه انه
على غاية التقرب ولا اي استحقار واستهزاء يزيد على قصدك بعبادة ربك عبدا مثلك
عاجزا عن نفع نفسه من سائر الوجوه فضلا عنك ومع ذلك فقصدك اياه يجيء ذلك بتجيء
عن اعتقادك فيه انه اقدر على تحصيل اغراضك من الله فنعت العبد الضعيف على مولاه
القوي القادر **وقتنه** ثم كان الرياء من كبائر الكبائر المهلكة ولهذا سماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر وفيه ايضا تلبيس على الخلق لايهامه لهم انه مخلص مطيع
لله تعالى وهو بخلاف ذلك بل التلبيس في الدنيا حرام ايضا حتى لو قصد دين انسان

ليحيل

ليخيل اليه او الى غيره انه متبرع حتى يعتقد واسخاوته اخم به لما فيه من التلبيس
وتمليس القلوب بالخداع والمكر فان قلت قد تقرر وجه كون الريا من الشرك الاصغر
فما وجه افتراقه من الشرك الاكبر قلت يتضح ذلك بمثال وهو ان المصلي حتى
يقول الناس انه صالح مثلا يكون رياه سببا باعثا له على العمل لكنه في خلال ذلك
العمل يقصد تارة تعظيم الله تعالى وتارة لا يقصد شيا وفي كل منهما لم يصدر منه
يكون بخلاف الشرك الاكبر فانه لا يحصل في هذا المثال الا اذا قصد بالسجود
مثلا تعظيم غير الله فعلم ان المرائي انما نشا له ذلك الشرك بواسطة انه عظم قدر
المخلوق عنده حتى حمله ذلك العظم على ان يركع ويسجد فكان ذلك المخلوق
هو المعظم بالسجود من وجه وهذا هو غير الشرك الخفي لا الجلي وذلك غاية الجهل
ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العبد الضعيف العاجز
يملك من معايشه ومنافعه اكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه وقصده اليهم
عن الله فاقبل يستميل قلوبهم فيكله تعالى اليهم في الدنيا والآخرة كما ورد في الاحاديث
اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فاطلبوا ذلك عندهم وهم لا يملكون في انفسهم
شيا سيما في الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم يوم لا
يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا ان وعد الله حق فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقد يطلق الريا على امر مباح وهو طلب
نحو الجاه بغير عبادة كان يقصد بزينة لباسه الثناء عليه بالنظافة والجمالية
ونحو ذلك وقس على ذلك ما اشبهه من كل تجمل وتزين وتكرم لاجل الناس كالانفاق
على الاغنياء الآخذين من العبادة والصدقة بل ليقال انه سخي وقد جوز عدم حرمة
هذا النوع انه ليس فيه ما في المحرم من التلبيس بالدين والاستهزاء برب العالمين
وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الخروج سوى عمامته وشعره ونظر وجهه في
الماء فقالت عايشة او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد ان
يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هو منه صلى الله عليه وسلم عبادة متاكدة لانه مامور
بدعوة الخلق واستمالة قلوبهم ما امكنه اذ لو سقط من اعينهم لاعرضوا عنه فلزمه
ان يظهر لهم محاسن احواله ليلا يزدروه فيعرضوا عنه لا تمتد اعين الخلق الظا الى
دون السرائر فهذا قصده صلى الله عليه وسلم وفيه قربة اي قربة وتحري ذلك في
العلماء ونحوهم اذا قصدوا به تحسين هيآتهم نحو ذلك ومنها اختلف الغزالي
وابن عبد السلام فيمن قصد بعمله الريا والعبادة فقال الغزالي ان غلب باعث الدين

الدنيا فلا ثواب له او باعث الآخرة فالثواب وان تساويا وتساقطا فلا ثواب ايضا
وقال ابن عبد السلام لا ثواب مطلقا للاخبار السابقة كخبر من عمل عملا اشرك فيه
غيري فانا منه بريء هو للذي اشرك واوّل الغزالي الحديث على ما استوى القصدان
او كان قصد الرياء ارجح ورجح كلام الغزالي ان الرياء ولو محرما لا يمنع اصل
الثواب عنده اذا كان باعث العبادة ولو انضم قصد الرياء لما اقوم فالذي نظنه
والعلم عند الله تعالى انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه يعاقب على مقدار قصد الرياء
ويثاب على مقدار قصد الثواب انتهى وقد بينا فيه قوله قبل ذلك اذا قصد الاجر
والمحمدة جميعا في صدقته وصلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه
في كتاب الاخلاص وما نقلنا عن سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت رضي الله
عنهما يدل على انه لا ثواب له اصلا انتهى وبهذا يترجح كلام ابن عبد السلام
والحاصل ان الذي يتجه ترجيحه في ذلك انه متى كان المصاحب لقصد العبادة
رياء مباحا لم يقتض اسقاط ثوابها من اصله بل يثاب على مقدار قصد العبادة
وان ضعف او محرما اقتضى سقوطه من اصله كما دلت عليه الاحاديث الكثيرة
السابقة وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قد لا ينافي ذلك لان
تغييره بقصد المحرم اوجب سقوط قصده الاجر فلم يبق له ذرة من خير فلم يشمله
الآية واعلم ان العبد اذا عقد عبادته على الاخلاص ثم ورد به وارد
الرياء فان كان بعد تمام العمل لم يؤثر فيه لانه تم على الاخلاص فلا ينعطف عليه
اثر ما طرأ اذا لم يتكلف اظهاره والتحدث به فان تكلف ذلك قصدا للرياء قال
الغزالي فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط العمل وساق
ذلك ثم استبعد ان يكون ذلك الطارئ مبطلا لثواب العمل قال بل
الاقيس انه يثاب على عمله الذي انقضى ويعاقب على مراياته بطاعة الله تعالى
ولو بعد فراغه منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء في اثنائها فانه
يحبط بل تفسد ان تمحض قصد الرياء فان لم يتمحض لكنه غلب حتى انغمر
قصد القربة فيه فهذا يتردد في افساده للعبادة وميل الحارث المحاسبي
الى افساده والاحسن عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل
بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه سرور باطلاع فلا يفسد
عمل لبقاء اصل النية الباعثة عليه والحاملة على اتمامه بخلاف ما لو عرض
له ما لولا الناس لقطع صلاته مثلا فانه يفسدها فيعيدها ان كانت فرضا والاخبار

الواردة

الواردة في الرياء محمولة على ما اذا لم يرد الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول
على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او غلب منه اما اذا كان ضعيفا
بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب العمل ولا ينبغي ان يترك الصلاة ولو قارن الرياء
ابتداء عقد الصلاة مثلا واستمر الى ان سلم فلا خلاف انه يعيد ولا يعتد بصلاته فان
ندم عليه اثناءها واستغفر فقالت فرقة هي لم تنعقد فيستأنفها وقالت فرقة يلغو جميع
ما فعله الا التحرم فيتم عليه وقالت فرقة لا يلزمه شيء بل يتمها لان النظر الى الخواتيم
كما لو ابتدأ بالاخلاص وختم بالرياء فان عمله يفسد والقولان الاخيران خارجان عن
قياس الفقه جدا خصوصا اولهما وكذا القول اذا ختم بالاخلاص صح لان الرياء يقدح
في النية والذي يستقيم على قياس الفقه ان يقال ان كان باعثه هو مجرد الرياء في ابتداء
العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده لانه
لم يجزم بالنية لانه انما تحرم لاجل الناس وان كان بحيث لو كان وحده لم يصل اصلا
فان كان بحيث انه لو فقد واحد ايضا صلاة صحيحة الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة
ايضا فاجتمع الباعثان فان كان في نحو صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع
باجابته باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله
ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما بالآخر
وصلاة النافلة كالصدقة فيما ذكر ولا يمكن ان يقال صلاته فاسدة ولا الاقتداء
به باطل وان ظهر انه قصده الرياء واظهار حسن قراءته تحسينا للظن بالمسلم انه يقصد
الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته والاقتداء به والا اقترن
به قصد آخر هو عارض به اجتمع الباعثان في فرض وكل لا يستقل وانما يحصل الانبعاث
بالمجموع عليهما فهذا لا يسقط الواجب عنه فان استقل كل منهما بحيث لو عدم باعث الرياء
ادى الفرض ولو عدم باعث الفرض انشأ صلاة للرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا
فيحتمل ان يقال الواجب صلاة خالصة لوجه الله تعالى ولم يوجد وان يقال الواجب
امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد باقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض
كما لو صلى في دار مغصوبة ولو كان الرياء في نحو المبادرة الى الصلاة دون ذاتها
قطع بصحتها لان الباعث اصل الصلاة من حيث انها صلاة لا يجانس غيره هذا
في رياء باعث على العمل فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره بحيث
يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة
غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في الفقه والذين خاضوا فيها لم يلاحظوا

دوا بين الفقهاء بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد
العبادات بادني الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله تعالى
فيه انتهى ومر آنفا ما يعلم به ما في بعضه **ومنها** الرياء ينقسم الى درجات
متفاوتة في القبح فاقبحها الرياء في الايمان وهو شان المنافقين الذين اكثر
الله في ذمهم في كتابه العزيز وتوعدهم بقوله عز قائلا ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وهؤلاء قلوا من بعد زمن الصحابة نعم كثر من هو مثلهم في القبح
كالمعتقدين للبدع المكفرة كانكار الحشر او علم الله تعالى بالجزئيات او
اعتقاد الاباحة المطلقة مع اظهارهم خلاف ذلك فليس وراء قبح احوال
هؤلاء شيء ويليهم المراءون باصول العبادات الواجبة كان يعتاد
تركها في الخلوة ويفعلها في الملاء خوف المذمة وهذا ايضا عظيم عند الله
لانبائه عن غاية الجهل واداية الى اعلى انواع المقت ويليهم المراءون
بالنوافل كان يعتاد ذلك فيها وحدها خوف الاستنقاص بعدم فعلها في
الملاء وايثار الكسل وعدم الرغبة في ثوابها في الخلوة ويليهم المراءون باوصاف
العبادات كتحسينها واطالة اركانها والتخشع فيها واستكمال سائر
مكملاتها في الملاء والاقتصار في الخلوة على ادنى واجباتها خوف وايثار
ما ذكر في النوافل فهذا محظور ايضا لان فيه كالذي قبله تقديم المخلوق
على الخالق وقد يكيد الشيطان فاعله فيزين له انه انما يفعل ذلك صيانة
لهم عن الوقوع ولو صدق لصان نفسه عن فوات تلك الكمالات بما يفعله
في خلواته فدلت قرائن احواله على ان باعث ذلك ليس الا النظر الى الخلق
رجاء محمدتهم لا صيانتهم **وللمرايا لاجله درجات ايضا**
فاقبحها ان يقصد التمكن من معصية كمن يظهر الورع والزهد حتى يعرف به فيولى
المناصب والوصايا وتودع عنده الاموال او يفوض اليه تفرقة الصدقات
وقصده بكل ذلك الخيانة فيه وكمن يذكر او يعظ او يعلم او يتعلم للظفر
بامراة او غلام ثم هؤلاء اقبح المرائين عند الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم
سلما الى معصيته ووصلة الى فسقهم وسوء عاقبته ويليها من يتهم بمعصية
او جناية فيظهر الطاعة والصدقة بقصد الدفع لتلك التهمة ويليها ان
يقصد باظهار عبادته وورعه وتخشعه ونحو ذلك ان لا يحتقر وينظر اليه بعين
النقص او ان يعد من جملة الصالحين وفي الخلوة لا يفعل شيئا من ذلك ومن ذلك

ان يترك

ان يترك اظهارا والنظر الى يوم بيض صوم خشية ان ينظر به انه لا اعتناء له با
لنوافل فهذه اصول درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين قال الغزالي وجميعهم
تحت مقت الله تعالى وغضبه وهو من اشد المهلكات ومنها ما هو في الخفاء ان من
الرياء ما هو اخفى من دبيب النمل وهذا هو الذي تزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد
الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب وبيانه ان الرياء اما جلي وهو ما يحمل العمل
ويبعث عليه واما خفي وهو ما لا يحمل عليه لكنه يخفف مشقته كمن يعتاد التهجد كل ليلة
ويثقل عليه لكنه اذا نزل به ضيف او اطلع عليه احد نشط له وخف عليه ومع ذلك هو
انما يعمل لله ولولا رجاء الثواب لما صلى وامارة ذلك انه يتهجد وان لم يطلع احد
واخفى من هذا ما لا يحمل على تسهيل وتخفيف ومع ذلك عنده رياء كامن في قلبه كمون النار
في الحجر لا يمكن الاطلاع عليه بالعلامات واجلى علاماته انه يسره اطلاع الناس على
طاعته وعبادته فرب عبد مخلص في عمله يكره الرياء ويذمه فلا يكون عنده من شيء يحمل
على العمل ابتداء ولا دواما لكنه اذا اطلع الناس عليه سره ذلك وارتاح له وروح
ذلك عن قلبه شدة العبادة عليه وهذا السرور يدل على رياء خفي اذ لولا التفات القلب
للناس لما ظهر سروره عند اطلاعهم فاطلاعهم مع عدم كراهته له حرك ما كان ساكنا وصار
غذاء للعرق الخفي من الرياء حركه يحمله على تكلف سبب للاطلاع عليه ولو بالتعريض او
نحوه كاظهار النحول وخفض الصوت ويبس الشفتين وغلبة النعاس الدال على
طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسره ولكنه ان
يبدأ بالسلام والتعظيم ان يقابل بمزيد الثناء والمبادرة الى قضاء حوائجه
وان يسامح في معاملته وان يتوسع له المكان اذا اقبل وحتى قصر احد في ذلك ثقل على
قلبه لعظمة طاعته التي اخفاها عند نفسه فكأن نفسه تطلب ان يحترم في مقابلتها
حتى لو فرض انها لم تفعل تلك الطاعات لما كانت تطلب ذلك الاحترام ومهما
لم يكن وجود الطاعة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى
ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل قال الغزالي
وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وعن علي كرم الله
وجهه ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر
الم تكونوا تبدؤن بالسلام الم يكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد
استوفيتم اجوركم ومن ثم لم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون
لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم ما يحرص

الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم فيجازيهم الله في القيمة
على ملأ من الخلق اذ علموا ان الله تعالى لا يقبل في القيمة الا الخالص وعلموا
شدة حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم ولا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ويشتغل الصديقون
بانفسهم فيقول كل واحد منهم نفسي نفسي فضلا عن غيرهم وكل من وجد في نفسه فرقا
بين اطلاع الصغار والمجانين واطلاع غيرهم على عبادته ففيه شوب من
الرياء اذ لو علم ان الله هو النافع الضار القادر على كل شيء وغيره هو العاجز عن كل
شيء لاستوى عنده الصغار وغيرهم ولم تتفاوت نفسه بحضور كبيرهم ولا صغيرهم ولكن
ليس كل شوب من الرياء مفسدا للعمل ومحبطا له بل السرور اما محمود بان
يشهد ان الله انما اطلعهم عليه اظهارا للجميل احواله ولطفه به فانه في نفسه ستر طاعته
ومعصيته ثم الله تعالى ستر معصيته واظهر طاعته ولا لطف اعظم من ستر القبيح
واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له ولطفه به لا بحمد الناس وقيام المنزلة
في قلوبهم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا او يستدل به على ستره قبيحه واظهار
جميله في الدنيا فكذلك يفعل معه في الآخرة اذ جاء ما ستر الله على عبد ذنبا الا ستره
عليه في الآخرة او بان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف
بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر اخرا واجر السر بما قصده اولا اذ
من اقتدى به في طاعته له مثل اجر المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم
شيء ولتوقع ذلك جدير بان ينشا عنه السرور فان ظهور مخائل الربح لذيذ
يوجب السرور لا محالة او بان يفرح بكونه تخليصا وغمهم الى سبب يحمدونه
عليه ويحبونه لاجله ولم يجعلهم لجماعة آخرين مؤمنين يهزؤن بالمطيعين ويؤذونهم
وعلامة هذا الفرح ان يكون فرحه بحمد غيره كفرحه بحمدهم له واما
مذموم وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوبهم حتى يعظموه ويكرموه و
يقومون له بقضاء حوائجه وهذا مكروه. ومما ينبغي ان يعلم ان في كتم العمل فائدة
الاخلاص والنجاة من الرياء وفي اظهاره فائدة الاقتداء وترغيب الناس
في الخير ولكن فيه آفة الرياء وقد اثنى الله على القسمين فقال ان تبدوا
الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم لكنه مدح الاسرار
لسلامته من تلك الآفة العظيمة التي قل من يسلم منها وقد يمدح الاظهار
فيما يتعذر الاسرار فيه كالغزو والحج والجمعة والجماعة فالاظهر المبادرة

اليه

اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شائبة رياء والحاصل انه متى خلص
العمل من تلك الشوائب ولم يكن في اظهاره ايذاء لاحد فان كان فيه حمل للناس على الاقتداء
والتاسي به في فعل ذلك الخير والمبادرة اليه لكونه من العلماء او الصلحاء الذين يتبادر الناس
الى الاقتداء بهم فالاظهار افضل لانه مقام الانبياء وورثتهم ولا يخصون الا بالاكمل ولان
نفعه متعد وقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة
وان اختل شرط من ذلك فالاسرار افضل وعلى هذا التفصيل يحمل اطلاق من اطلق افضلية
الاسرار نعم مرتبة الاظهار الفاضل منزلة قدم العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء
في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك
غامض وعلامة الحق فيه ان من قام به مع علمه من نفسه ان غيره لو قام به مثله من اقرانه
لم يتأثر به كان مخلصا وان لم يعلم من نفسه ذلك كان مرائيا اذ لولا ملاحظة نظر الخلق لما
اثر نفسه على غيره مع علمه بكفاية غيره فليحذر العبد خدع النفس فانها خدوع والشيطان
مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات
والاخطار فالسلامة في الاخفاء ومن الاظهار التحدث بالعمل بعد فراغه بل هذا اشد
خطرا من جهة انه قد يجري على اللسان زيادة او مبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوي
واهون من حبطان الرياء به لا يحبط ما مضى خالصا واعلم ان كثيرين ربما يتركون
الطاعات خوف الرياء وليس ذلك بمحمود مطلقا فان الاعمال اما لازمة
للبدن لا يتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فان كان باعث
الابتداء فيها رؤية الناس وحدها فهذا محض معصية فيجب تركه ولا رخصة فيها على
هذه الكيفية وان كان الباعث نية التقرب الى الله تعالى لكن عرض الرياء عند عقدها
شرع فيها وجاهد نفسه في دفع ذلك العارض وكذا لو عرض في اثنائها فيرد نفسه
للاخلاص بمراجعة نيتها لان الشيطان يدعوك اولا الى الترك فاذا عصيته وعزمت
او شرعت دعاك للرياء فاذا اعرضت عنه وجاهدت الى ان فرغت يندمك ويقول
لك انت مراء لا ينفعك الله بهذا العمل شيئا حتى يترك العود الى مثل ذلك العمل
فيحصل غرضه منك فكن منه على حذر فانه لا امكر منه والزم قلبك الحياء من الله تعالى
اذا وجد فيك باعثا دينيا على العمل فلم تتركه بل جاهدت نفسك في الاخلاص
ولم تغتر بمكائد عدوك وعدو ابيك آدم صلى الله عليه وسلم واما متعلقة
بالخلق وهذه تعظم فيها الآفات والاخطار فاعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير
والتدريس والافتاء ثم انفاق المال فمن لا يستميله الدنيا ولا يستنزه الطمع

ولا يأخذه في الله لومة لائم واعرض عن الدنيا واهلها جملة ولا يتحرك الا للحق
ولا يسكن الا له هو الذي يستحق ان يكون من اهل الولايات الدينية والاخروية
ومن فقد فيه شرط من ذلك فالولايات بانقسامها المذكورة عليه حرام اي فليمسك
عنها ولا يغتر فان النفس تسول له العدل فيها والقيام بحقوقها وعدم الميل الى شوائب
الريا والطمع فانها كاذبة في ذلك فليحذر منها فانه لا الذ عنده من الجاه
والولايات فربما حملتها محبة ذلك على هلاكها ومن ثم استاذن رجل عمر رضي
الله عنه ان يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال أتمنعني من نصح
الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا فينبغي انه لا يغتر الانسان
بما جاء في فضائل التذكير بالوعظ والعلم لان خطره عظيم ولسنا نامر احدا بتركه
اذ ليس في نفسه آفة انما الآفة في اظهاره بالتصدي له وعظا واقراء وافتاء
ورواية ولا يترك التصدي له ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا وان مزج بشيء
من الرياء بل نامره به مع مجاهدة النفس على الاخلاص والتنزه عن خطرات الرياء
فضلا عن شوائبه فالامور ثلاثة الولايات وهي اعظمها آفة فليتركها
الضعفاء راسا والصلوات ونحوها فلا ينبغي ان يتركها الضعفاء ولا الاقوياء
ولكن يجاهدون في دفع شوائب الرياء عنها والتصدي للعلوم وهي مرتبة
الوسطى بين تينك المرتبتين لكنها بالولايات اشبه والى الآفات
اقرب فالحذر منها في حق الضعيف اسلم وبقيت مرتبة رابعة وهي جمع
المال وانفاقه فمن العلماء من فضله على الاشتغال بالذكر والنوافل ومنهم
من عكس والحق ان فيه آفات عظيمة كطلب الثناء واستجلاب القلوب
وتميز النفس بالاعطاء فمن خلص من تلك الآفات فالجمع والانفاق له افضل
لما فيه من وصل المنقطعين وكفاية المستحقين والتقرب ببرهم الى رب العالمين
ومن لم يخلص منها فالاولى له ملازمة العبادات واستفراغ الوسع فيما لها
من الآداب والمكملات **ومن علامات خلوص العالم في عمله**
انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح
به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وعلامته ان يتمنى لنفسه مثل علمه وانه لو حضر
الاكابر مجلسه لم يتغير كلامه بل يكون ناظرا للخلق كلهم بعين واحدة وانه لا يحب
اتباع الناس له في الطرقات **ومنها** قد بان لك بما سبق من الآيات
والاحاديث وكلام الائمة ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله

واللعن والطرد وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بان يتشمر كل مومن
عن ساق الجد في ازالته بالمجاهدة وتحمل المشاق الشديدة والمكابدة لقوة الشهوات
اذ لا ينفك احد عنها الا مشتاقا ولذلك الا من رزقت قلبا سليما نقيا خاليا عن شوائب
ملاحظة الاغراض والمخلوقين ومستغرقا دائما في شهود رب العالمين وقليل ما هم
والا فغالب الخلق انما طبع على انه الصبي يخلق ضعيف العقل ممتد العين للخلق
كثير الطمع فيهم فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه فاذا اكمل
عقله وفطنت للابتلاء راى ذلك مرضا مهلكا فاحتاج الى دواء يزيله فيقطع عروقه باستيصال
وهو من حب لذة المحمدة والجاه والطمع فيما بايدي الناس وذلك الدواء النافع هو ان
يعرض عنه رغبته في كل ذلك لما فيه من المضرة وفوات صلاح القلب وحرمان التوفيق
في الحال والمنزلة الرفيعة في الآخرة والعقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر
حيث ينادي على رؤوس الخلائق ويقال للمرائي يا فاجر يا غادر يا خادع يا مرائي
اما استحييت اذا اشتريت بطاعة الله عرض الحياة الدنيا راقبت قلوب العباد
واستهزات بنظر الله تعالى وطاعته وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله تعالى وتزينت
لهم بالشين عند الله تعالى وتقربت اليهم بالبعد من الله تعالى ولو لم يكن في الرياء الا
احباط عبادة واحدة لكفى في شؤمه وضرره فقد يحتاج الانسان في الآخرة الى حسنة
ترجح بها كفة حسناته والا ذهب به الى النار ومن طلب رضى الخلق في سخط الله سخط
الله عليه واسخطهم عليه ايضا على ان رضاهم غاية لا تدرك ومن ارضى قوما اغضب
آخرين ثم اي غرض له في مدحهم وايثاره على ذم الله وغضبه مع ان مدحهم لا يفيده
نفعا ولا يدفع عنه ضررا وانما ذلك الله وحده فهو المستحق لان يقصد وحده
اذ هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء فلا رازق ولا معطي ولا ضار ولا نافع
الا هو عز وجل ولا يخلو الطامع في الخلق من الذل والخيبة او من المنة والمهانة
فكيف يترك ما عند الله تعالى برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ
فمن نظر لذلك بعين البصيرة فترت رغبته في الخلق واقبل على الله بالصدق
فهذا دواء علمي وثم دواء عملي وهو ان يعتاد اخفاء العبادات كاخفاء الفواحش
حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه عليه ولا ينازعه نفسه الى طلب علم غير
الله تعالى به ويكلف الاخفاء كذلك وان شق ابتداء لكن من صبر عليه مدة
بالتكلف سقط عنه ثقله واعانه الله تعالى فيه من فضله ما يكون سببا لرقيه ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة وقرع باب الكريم ومن الله تعالى

الهداية والفتح انه لا يضيع اجر المحسنين وان كل حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما **خاتمة في الاخلاص** لما قد تكلمنا بحمد الله وتاييده
وامداده ومعونته وتوفيقه على هذه الكبيرة العظيمة وما يتعلق بها مما يحتاج الخلق
اليه وبسطنا الكلام في ذلك بالنسبة لموضوع الكتاب وان كان في نفسه بالنسبة
الى اتساع كلام الناس في الرياء وتوابعه سيما الاحياء مختصرا جدا اردنا ان نختم الكلام
بذكر شيء من الآيات والاحاديث الدالة على مدح الاخلاص وثواب المخلصين
وما اعد الله لهم ليكون ذلك باعثا للخلق على تحري الاخلاص ومباعدة الرياء اذ الاشياء
لا تعرف كمالا وحسنا الا باضدادها قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة وقال تعالى ان
تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اخرج الشيخان انما الاعمال بالنيات وانما
لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت
هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه واخرجا ايضا يغزو
جيش الكعبة فاذا كانوا ببيداء من الارض يخسف باولهم وآخرهم وفيهم اسواقهم
ومن ليس منهم قال يخسف باولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم واخرجا انه سئل
صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء
اي ذلك يكون في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله
هي العليا فهو في سبيل الله وفي نسخة فذلك في سبيل الله اخرج الطبراني
نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته فاذا عمل المؤمن
عملا نار في قلبه نور وللترمذي الحكيم افضل العمل النية الصادقة ولابن المبارك
ان الله تعالى يعطي الدنيا على نية الآخرة وابى ان يعطي الآخرة على نية الدنيا
وللديلمي النية الحسنة تدخل صاحبها الجنة وللخطيب النية الصادقة
معلقة بالعرش فاذا صدقت العبد بنيته تحرك العرش فيغفر له ولمسلم العجب
ان ناسا من امتي يأمون البيت لرجل من قريش اي وهو المهدي قد لجأ بالبيت
حتى اذا كانوا بالبيداء خسف بهم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون
مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم ولاحمد والبخاري اذا
انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم اخرج ابن
ابي الدنيا والحاكم اخلص دينك يكفيك القليل من العمل وللدارقطني اخلصوا اعمالكم
لله فان الله لا يقبل الا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم والطبراني ان الله

عز

عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه والطبراني اخلصوا
عبادة الله وأقيموا خمسكم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وصوموا شهركم
وحجوا بيتكم تدخلوا جنة ربكم وابن عدي والديلمي اعمل لوجه واحد أي الله وحده
يكفك الوجوه كلها وابن ماجه إنما الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفله طاب أعلاه وابن
عساكر إن الأعمال نحو آنيتهما كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه
خبث أسفله وفي رواية صحيحة إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة إنما مثل عمل أحدكم
كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله والنسائي
إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه ومسلم وابن ماجه
إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وابن ماجه
إن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن وصلى في السر فأحسن قال الله تعالى هذا
عبدي حقا والرافعي إذا صلى العبد في العلانية فأحسن وصلى في السر فأحسن
قال الله تبارك وتعالى أحسن عبدي وأبو يعلى تمام البر أن تعمل السر عمل العلانية
صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس
خمسا وعشرين وابن المبارك مرسلا طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى
تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء وابن حبان ما يتقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود
خفي وابن حبان ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعل بنفسك إذا خلوت
وأبو نعيم من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه
وأبو داود من أراد منكم أن لا يحول بينه وبين قلبه أحد فليفعل والديلمي
السر أفضل من العلانية والعلانية لمن أراد الاقتداء وفي رواية ولمن أراد
الاقتداء العلانية أفضل والبخاري وأبو يعلى وابن حبان والحاكم لو أن أحدكم
يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة يخرج عمله كائنا ما كان والحاكم
من أحسن بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح سريرته أصلح
الله علانيته ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها إن خيرا فخير وإن شرا
فشر وأبو نعيم من كانت له سريرة صالحة أو سيئة أظهر الله تعالى عليه منها
رداء يعرف به والترمذي الحكيم والحاكم هل تدرون من المؤمن من
لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يحب ولو أن عبدا اتقى الله في جوف بيت
إلى سبعين بيتا على كل بيت باب من حديد ألبسه الله رداء عمله حتى
يتحدث الناس بذلك ويزيدون قالوا وكيف يزيدون قال إن التقي لو يستطيع

ظ بجوانبهما

كاينا

ان يزيد في سره لزاد وكذلك الفاجر يتحدث الناس بفجوره ويزيدون
لانه لو يستطيع ان يزيد في فجوره لزاد وابن جرير والذي نفس محمد بيده
ما عمل احد قط سرا الا البسه الله رداه علانية ان خيرا فخير وان شرا
فشر وسئل بعض الايمة من المخلص فقال المخلص الذي يكتم حسناته كما يكتم
سياته وسئل آخر ما غاية الاخلاص قال ان لا تحب محمدة الناس

الكبيرة الثالثة الغضب بالباطل والحقد والحسد

لما كانت هذه الثلاثة بينها تلازم وترتب
اذ الحسد من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب كانت بمنزلة خصلة
واحدة فلذلك جمعتها في ترجمة واحدة لان ذم كل يستلزم ذم الآخر اذ ذم
الفرع وفرعه يستلزم ذم الاصل واصله وبالعكس قال الله تعالى اذ جعل
الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله
وعلى المومنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها ذم الكفار بما
تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المومنين
بما انزل عليهم من السكينة وطمانينة الناشئة عنها الزمهم كلمة التقوى وانهم
هم اهلها واحق بها وقال الله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتيهم الله
من فضله واخرج ابو عساكر الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار
والماء تطفى النار فاذا غضب احدكم فليغتسل وابن ابي الدنيا وابن عساكر
اجتنب الغضب وابن عدي اذا غضب احدكم فقال اعوذ بالله سكن غضبه
واحمد اذا غضب احدكم فليسكت والخرايطي اذا غضبت فاجلس واحمد وابو داود
وابن حبان اذا غضب احدكم وهو قايم فليجلس وان وجده جالسا فليضطجع
والديلمي اذا غضب فاقعد فان لم يذهب عنك فاضطجع فانه سيذهب وابن
ابي الدنيا اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفى بعد القدرة واحمد
وابو داود ان الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفى بالماء
النار فاذا غضب احدكم فليتوضا وابن ابي الدنيا ان لجهنم بابا لا يدخله
الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى والطبراني الا ادلكم على اشدكم املككم لنفسه
عند الغضب وابن ابي الدنيا وسلا الخرق شوم والرفق يمن والتبزاز
ساحلكم بامور الناس واخلاقكم الرجل سريع الغضب سريع الفي احب
الرجوع فلاله ولا عليه كفافا والرجل يكون بعيد الغضب سريع الفي فذلك له

الخرق اي التدبه

ولا عليه

ولا عليه والرجل يقتضي الذي له ويقتضي الذي عليه فذلك لا له ولا عليه والرجل
يقتضي الذي له ولا يعطي الذي عليه فذلك عليه ولا له واحمد الصرعة كل الصرعة
الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه وابن ابي الدنيا
اتحسبون ان الشدة في حمل الحجارة انما الشدة في ان يمتلي احدكم غيظا ثم يغلبه
واحمد والشيخان ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
والعسكري ليس الشديد الذي يغلب الناس انما الشديد الذي يغلب نفسه
عند الغضب وابن النجار ان الشديد ليس الذي يغلب ولكن الشديد من غلب غضبه
والبيهقي هل تدرون ما الشديد ان الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب تدرون
ما الرقوب الرقوب الذي ليس له الولد ولم يقدم منهم شيئا تدرون ما الصعلوك
كل الصعلوك الرجل الذي له المال ولم يقدم منه شيئا والترمذي الحكيم للنار باب
لا يدخل الا من شفى غيظه بسخط الله والطبراني من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه
ومن حفظ لسانه ستر الله عورته واحمد والبخاري والترمذي وابو يعلى ان عن رجل
من الصحابة قال يا رسول الله اوصني قال لا تغضب قال اوصني قال لا
تغضب فان الغضب مفسدة وفي اخرى قلت يا رسول الله مرني بعمل
واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وفي اخرى عن ابن عمر
رضي الله عنهما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا واقلل لعلي اعقله
قال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب والطبراني
لا تغضب ولك الجنة والحكيم لا تغضب يا معاوية بن حيدة فان الغضب
يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل والبيهقي وابن عساكر يا معاوية اياك
والغضب فان الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل والحكيم ان
الغضب ميسم من نار جهنم يضعه الله على نياط احدكم الا ترى انه اذا غضب
احمرت عينه واربد وجهه وانتفخت اوداجه والخرائطي اياكم والغضب
فانها الحالقة والديلمي قال الله تعالى من ذكرني حين يغضب ذكرته حين
اغضب ولا امحقه فيمن امحق وابن شاهين يقول الله ابن آدم اذكرني حين لا
تغضب اذكرك حين اغضب ولا امحقك فيمن امحق والطبراني يقول احدهم لوقال
اذا غضب اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غضبه واحمد والطبراني
والحاكم اني لاعلم كلمة لو قالها هذا الغضبان لاذهبت الذي به من الغضب اللهم
اني اعوذ بك من الشيطان الرجيم واحمد والحاكم اللهم مطفئ الكبير ومكبر الصغير اطفها عنه

اُمّ هاني

والخزايا يطيع عن امهاته قوله اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ
قلبي واجرني من مضلات الفتن وقال سليمان بن داود صلى الله على نبينا
وعليه وسلم يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب يستخف فؤاد
الرجل الحليم وقال عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا السيد الذي لا
يغلبه الغضب وقال يحيى لعيسى صلى الله عليه وعلى نبينا وعلى سائر الانبياء
والمرسلين لا تغضب قال يا اخي لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر
قال لا تقتن مالا قال هذا عسى وقال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت
يوشك ان تثب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا فقال له علمني
علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن
آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت
اخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب
ابن منبه رضي الله عنه ان راهبا في صومعته اراد الشيطان ان يضله فلم يقدر فناداه
ليفتح له فسكت فقال ان ذهبت ندمت فسكت فقال انا المسيح فاجابه وقال ان
كنت المسيح فما اصنع بك الست قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة
فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك فاخبره الشيطان جاء ليضله فلم يستطع ثم
قال له سلني عما شئت اخبرك قال ما اريد ان اسألك عن شيء فولى الشيطان مدبرا
فقال له الراهب الا تسمع قال بلى اخبرني اي اخلاق بني آدم اعون لك عليهم
قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة وقال
جعفر بن محمد رضي الله عنهما الغضب مفتاح كل شر وقال بعضهم لا تضار رأس
الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة
والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق سعادة وقال مجاهد قال
ابليس ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته
فقدناه وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم واذا بخل
بما في يده منيناه بما لا يقدر عليه وقال ابن مسعود رضي الله عنه انظروا الى حلم
الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته
اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله لا تعاقب عند غضبك بل احبسه
فاذا سكن غضبك عاقبه بقدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وما غلظ له قرشيه
فاطرق طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك

اليوم ما تنال منه غدا وقال بعضهم اقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان علما وحلما وكان عمر رضي الله عنه يقول في خطبته افلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع شهوته وغضبه قاداه الى النار وقال الحسن علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا يجمح به الحمية ولا يغلبه شهوة ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقال وهب للكفر اركان اربعة الغضب والشهوة والخرق والطمع وذكر غيره ان بعض الصحابة حمله الغضب على ان ارتد عن الاسلام ومات كافرا فتأمل سر الغضب وما يحمل عليه وقال نبي لاتباعه من يتكفل لي منكم ان لا يغضب يكن خليفتي ويكون في درجتي في الجنة فقال شاب انا فاعاد فقال ذلك الشاب انا فلما مات كان خليفته في منزلته وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بنفسه ان لا يغضب ووفى به وقيل لانه تكفل بقيام الليل وصيام النهار ووفى به

شرع في الحقد

واخرج البيهقي ان الله يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر اهل الحقد كما هم عليه واخرج ايضا اذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله على خلقه فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ويدع اهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه وسلم تعرض اعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن الا عبدا بينه وبين اخيه شحناء فيقال اتركوا هذين حتى يفيئا والطبراني تعرض الاعمال على الله يوم الاثنين والخميس فيغفر الله الا ما كان من متشاحنين او قاطع رحم واحمد وابو داود والترمذي يفتح ابواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر فيهما لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجل كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا والخطيب وابن عساكر ان اعمال العباد تعرض على الله كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل عبد لا يشرك به شيئا الا عبدا بينه وبين اخيه شحناء والخرائطي تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين والخميس فيغفر الله الذنوب الا ما كان من متشاحنين او قاطع رحم وابن زنجويه والطبراني تعرض اعمال بني آدم كل اثنين وخميس فيرحم المترحمين ويغفر المستغفرين ويذر اهل الحقد بحقدهم والشيخان وابن زنجويه وابو داود

والنسائي وابن حبان تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر الله فيهما لكل عبد مسلم
لا يشرك بالله شيا الا رجل كانت بينه وبين اخيه شحنا فيقال انظروا هذين حتى
يصطلحا وابن خزيمة والبيهقي ينزل الله اي امره او رحمته الى السما الدنيا ليلة النصف
من شعبان فيغفر لكل مومن الا العاق والمشاحن والبزار وحسنه والدارقطني
والبيهقي ينزل الله الى السما الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل مومن الا رجل
مشرك او رجل في قلبه شحنا وابن زنجوية ينزل ربنا الى السما الدنيا في ليلة النصف
من شعبان فيغفر لاهل الارض الا مشرك او مشاحنا ولابن حبان والطبراني وابن شاهين
والبيهقي وابن عساكر يطلع الله عز وجل الى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر
لجميع خلقه الا المشرك او مشاحن واحمد والنسائي يطلع الله تعالى على خلقه ليلة
النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن او قاتل نفس **واخرج**

ابن ماجة الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
والصدقة تطفي الخطيية كما تطفي الما النار والصلوة نور المومن والصيام جنة
اي سائر ووقاية من النار وابن عساكر الحسد في اثنين رجل آتاه الله القرآن
فقام به واحل حلاله وحرم حرامه ورجل اتاه الله مالا فوصل اقرباه ورحمه وعمل
بطاعة الله فتمنى ان يكون مثله والديلمي الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل
وابن عدي اذا حسدتم فلا تبغوا واذا ظننتم فلا تحققوا واذا تطيرتم فامضوا
وعلى الله فتوكلوا وابو داود اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل
النار الحطب واحمد والترمذي والضيا دب اليكم دا الامم قبلكم الحسد والبغضا
هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة
حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا الا انبيكم بشي اذا فعلتموه تحاببتم افشوا
السلام بينكم وابن صصري الغل والحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
والطبراني ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا انا منه وابو نعيم كل ابن
آدم حسود ولا يضر حاسدا حسده ما لم يتكلم باللسان او يعمل باليد والطبراني
لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا والحاكم والديلمي ان ابليس يقول ابغوا
بني آدم البغي والحسد فانهما لا يعدلان عند الله الشرك واحمد والبخاري في الادب
المفرد والترمذي وابن ماجة والحاكم وابن حبان ما من ذنب اجدر ان يعجل
الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم
وابن عدي وابن النجار احذروا البغي فانه ليس من عقوبة هي احضر من عقوبة البغي

شرع في الحسد

وابن

وابن لال لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما والترمذي وحسنه لا تظهر الشماتة
لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وفي رواية فيرحمه الله ويبتليك والبيهقي من اسوأ
الناس منزلة من اذهب آخرته بدنيا غيره والبخاري في تاريخه ان اشد الناس ندامة
يوم القيمة رجل باع آخرته بدنيا غيره وابن ماجه والطبراني ان من اشر الناس منزلة
عند الله يوم القيمة عبدا اذهب آخرته بدنيا غيره والسجزي اياكم والهوى فان
الهوى يصم ويعمي والطبراني وابو نعيم ما تحت ظل سماء من اله يعبد من دون الله
اعظم عند الله من هوى متبع وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد واسبابه
وثمراته لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله
اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث رواه الشيخان وقال انس رضي
الله عنه كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال يطلع الآن من هذا الفج رجل
من اهل الجنة فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه بيده تنطف
الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل
بعينه مثل المرة الاولى فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل
مقالته ايضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الاول فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم
تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقال عبد الله اني لاحيت ابي خا صمته
ابد فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى يمضي الثلاث
فعلت فقال نعم قال انس وكان عبد الله يحدث انه بات معه تلك الليالي الثلاث
فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى وكبر ولا يقوم
حتى تقوم الصلاة قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت الثالثة وكدت الثلاث
ان احتقر عمله قلت يا عبد الله انه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكن
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك اي عنك ثلاث مرات يطلع عليكم
الآن رجل من اهل الجنة فطلعت انت الثلاث المرات فاردت ان اوي اليك
فانظر ما عملك فاقتدي بك فلم ارك عملت كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت
غير اني لا اجد لاحد من المسلمين في نفسي غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله تعالى
اياه فقال عبد الله هذه التي بلغت بك رواه احمد باسناد على شرط الشيخين
والنسائي بسند صحيح ايضا وابو يعلى والبزار بنحوه وسمى الرجل المبهم سعدا وقال
في آخره فقال ما هو الا ما رايت يا ابن اخي الا اني لم ابت ضاغنا على مسلم اوكلمة

نحوها زاد النسائي في رواية له والبيهقي والاصبهاني فقال عبد الله هذه التي بلغت
بك وهي التي لا نطيق ايي تخذ الغيام بها رواه البيهقي ايضا عن سالم بن عبد الله
عن ابيه رضي الله عنهما قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع
عليكم رجل من هذا الباب من اهل الجنة فجاء سعد بن مالك فدخل منه قال البيهقي
فذكر الحديث قال فقال عبد الله ابن عمرو ما انا بالذي انتهي حتى اباتيت هذا الرجل
فانظر عمله قال فذكر الحديث في دخوله عليه قال فنا ولني عباة فاضطجعت
عليها قريبا منه وجعلت ارمقه بعيني ليله كلما تعار سبح وكبر وهلل وحمد حتى اذا
كان في وجه وقت السحر قام فتوضا ثم دخل المسجد فصلى ثنتي عشرة ركعة باثنتي
عشرة سورة من المفصل ليس من طواله ولا من قصاره يدعو في كل ركعتين بعد التشهد
بثلاث دعوات يقول اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار اللهم اكفنا ما اهمنا من امر آخرتنا ودنيانا اللهم انا نسالك من الخير كله
واعوذ بك من الشر كله حتى اذا فرغ قال فذكر الحديث في استقلاله على عمله
اليه ثلثا الى ان قال فقال آخذ مضجعي وليس في قلبي غمر اي بكسر المعجمة
فيكون حقدا على احد وفي حديث كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب
القدر وفي آخر سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر
والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون
البغي ثم يكون الهرج وفي آخر اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال
فيتحاسدون ويقتتلون ثم قال صلى الله عليه وسلم استعينوا لقضاء الحوائج
بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وفي آخر ان لنعم الله اعداء قيل ومن اولئك
قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وفي آخر ستة يدخلون
النار قبل الحساب لستة قيل من هم يا رسول الله قال الامراء بالجور والعرب
بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرساتيق بالجهالة
والعلماء بالحسد وروي ان موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء
والمرسلين لما تعجل الى ربه عز وجل راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه
وقال ان هذا الكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال
احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم من فضله وكان لا يعق
والديه وكان لا يمشي بالنميمة وعن زكريا صلى الله على نبينا وعليه وسلم
انه قال قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي

البتي

التي قسمته بين عبادي وقال بعض السلف اول خطيئة عصي الله بها هي
الحسد حسد ابليس آدم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية ووعظ بعض الائمة
بعض الامراء فقال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله تعالى به ثم قرا واذ
قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الآية واياك والحرص فانه
اخرج آدم من الجنة اسكنه الله جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا الشجرة
واحدة نهاه الله عنها فمن حرصه اكل منها فاخرجه الله من الجنة ثم قرا قال اهبطا
منها جميعا الآية واياك والحسد فانه الذي حمل ابن آدم على ان قتل اخاه حين
حسده ثم قرا واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما

سبب قتل هابيل

ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين وقيل كان السبب
ايضا في قتله له ان زوجة اخت القاتل كانت اجمل من زوجة القاتل اخت
المقتول لان حوا ولدت لآدم عشرين بطنا في كل بطن اثنين ذكرا وانثى فكان
آدم صلى الله عليه وسلم يزوج انثى كل بطن لذكر بطن آخر لا لذكر بطنها فلما راى
قابيل ان زوجة اخيه هابيل اجمل حسده عليها حتى قتله ومن جملة ما قال الحكما
واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت

حكايت هلاك بعض الحسود

واذا ذكرت النجوم فاسكت وكان لبعض الصلحاء يجلس بجانب ملك ينصحه
ويقول له احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيه اساءته فحسده على قربه
من الملك بعض الجهلة واعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك فقال له انه يزعم
انك ابخر وامارة ذلك اذا قربت منه يضع يده على انفه لئلا يشم رائحة البخر
فقال له انصرف حتى انظر فخرج فدعا الرجل لمنزله واطعمه ثوما فخرج الرجل من
عنده وجاء للملك وقال له مثل قوله السابق احسن الى المحسن الى آخره كعادته
فقال له الملك ادن مني فدنا منه ثم وضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه
ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا
يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له بخطه لبعض عماله اذا اتاك صاحب
كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج
فلقيه الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه
لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك
واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى اراجع الملك قال
لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى

الملك لعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني
فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال
ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على انفك قال اطعمني ثوما فكرهت
ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء اساءته فتامل رحمك الله
شؤم الحسد وما جر اليه ثم تعلم من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق لا تظهر
الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وقال ابن سيرين ما حسدت احدا
على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي
حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى
النار وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه
وقل حسده وقال معاوية رضي الله عنه كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد
نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم
من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن رضي الله عنه يا ابن آدم
لا تحسد اخاك فانه كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلا تحسد من اكرمه الله
تعالى وان كان لغير ذلك فلم تحسد من مصيره النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال
من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال
من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند
الموقف الا فضيحة وهوانا ونكالا تنبيهات منها يؤخذ من احاديث الغضب
السابقة ما يدل على ان الله تعالى خلق الغضب من نار وغرزه في الانسان
وعجنه بطينته فمهما صد عن غرض من اغراضه اشتعلت فيه تلك النار الى
ان يغلي منها دم قلبه ثم تنتشر في بقية عروق البدن ويرتفع الى اعاليه
كما يرتفع الماء المغلي فينصب الدم بعد انبساطه الى الوجه ويحمر الوجه
والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم هذا ان استشعر
المقدرة على من غضب عليه والا فان غضب ممن فوقه وكان معه ياس من
الانتقام انقبض دمه من ظاهر جلده الى جوف قلبه وصار حزنا فيصفر لونه
او من مساويه وشك في قدرته على الانتقام منه تردد دمه بين الانقباض
والانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب فعلم ان قوة الغضب محلها القلب
وان معناها غليان دمه لطلب الانتقام وان هذه القوة انما تتوجه عند
ثورانها الى دفع موذ قبل وقوعه او التشفي والانتقام بعده فالانتقام هو

لذتها

لذمتها وعشكها ثم ان التفريط فيها بانعدامها او ضعفها مذموم جدا لان انعدام
الحمية والغيرة ح ولا غيرة له لا دين له ولا مروءة ولا ايقا بل لشيء من انواع الكمال
بوجه من الوجوه لانه بالتفريط بل بحشرات الحيوان اشبه وهذا هو معنى قول الشافعي
رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان
وقد وصف الله تعالى الصحابة رضوان الله عليهم بالشدة والحمية فقال اذلة
على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثمرة التفريط في ذلك قلة الانفة مما
يؤنف منه من التعرض للحرم كالاخت والزوجة واحتمال الاذى من الاخساء
وصغر النفس وهذه كلها قبائح ومذام ولو لم يكن من ثمراتها الا قلة الغيرة
وخنوثة الطبع وقال صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غيرة سعد انا اغير منه
والله اغير مني ومن غيرته ان حرم الفواحش واخرج احمد والشيخان والترمذي
لا احد اغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه
المدح من الله ولذلك مدح نفسه ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل
ذلك انزل الكتاب وارسل الرسل والبيهقي ان الغيرة من الايمان واحمد
وابو داود والنسائي وابن ماجة ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض
الله وان من الخيلاء ما يبغض الله ومنها ما يحب الله فاما الغيرة التي
يحبها الله فالغيرة في الريبة واما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة في غير
الريبة واما الخيلاء التي يحبها الله فاختيال الرجل في القتال واختياله
عند الصدقة واما الخيلاء التي يبغض الله فاختيال الرجل في البغي والفخر
والطبراني ان الله تعالى يحب من عباده الغيور ان الله يغار وللمسلم فليغر
الشيخان والترمذي ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله ان ياتي
المؤمن ما حرم الله عليه واما الافراط في تلك القوة فهو مذموم جدا ايضا
وذلك بان تغلب عليه حتى يخرج عن سياسة العقل والدين ولا يبقى له معها
فكر ولا بصيرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر اما الامور خلقية او عادية
او مركبة منهما بان تكون فطرته مستعدة لسرعة الغضب او خالط من يتبجح به
ويعده كمالا وشجاعة حتى يرسخ مدحه عنده ومهما اشتدت نار الغضب وقوي
اشتعالها اعمت صاحبها واصمته عن كل موعظة بل لا يزيده الموعظة الا اشتعالا
لانطفاء نور عقله ومحوه حالا بدخان الغضب الصاعد الى الدماغ الذي هو

معدن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم بصره حتى لا يرى شيئا
او الا سوادا بل ربما ذاد اشتعال ناره حتى يفني رطوبة القلب التي بها
حياته فيموت صاحبه غيظا ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون
كما وشدة رعدة الاطراف وخروج الافعال عن الانتظام واضطراب
الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتشتد حمرة الاحداق و
ينقلب المناخر ويستحيل الخلقة ولو يرى الغضبان حال غضبه وقبح صورة
نفسه لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من
قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن اذ اقبح ذلك انما نشاء عن قبح هذا
فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن هذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان
فانطلاقه بالقبائح كالشتم والفحش وغيرهما مما يستحي من ذلك ذوو العقول
مطلقا وقائله عند فتور غضبه على انه لا ينتظم كلامه بل يتخبط نظمه ويضطرب
لفظه واما اثره في الاعضاء فالضرب وما فوقه الى القتل عند التمكن
من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته لسبب وعجز عن
تشفي رجع غضبه عليه فمزق ثوبه وضرب نفسه وغيره حتى الحيوان والجماد
بالكسر وعدا عدو الولهان السكران والمجنون الحيران وربما سقط وعجز
عن الحركة واعتراه مثل الغشية لشدة استيلاء الغضب عليه واما اثره
في القلب فالحقد على المغضوب وحسده واظهار الشماتة بمساءته والحزن
بسروره والعزم على افشاء سره وهتك ستره والاستهزاء به وغير ذلك من القبائح
واما الكمال المطلق فهو اعتدال تلك القوة بان لا يكون فيها تفريط
ولا افراط وانما يكون طوع العقل والدين فتنبعث حيث وجبت الحمية
وتنطفي حيث حسن الحلم وهذا هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده
والوسط الذي مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقوله خير الامور اوساطها
فمن فرط او افرط فليعالج نفسه الى وصولها الى هذا الصراط المستقيم او الى
قرب قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا
كل الميل فتذروها كالمعلقة ولا ينبغي لمن عجز عن الاتيان بالخير كله ان
يأتي بالشر كله فان بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض
والله تعالى من فضله يعطي كل آمل ما امله ويتيسر له ما توجه اليه واتم له ومنها
محل ذم الغضب ان كان بباطل والا فهو محمود ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم

لا يغضب

لا يغضب الا لله اخرج الشيخان ان رجلا قال يا رسول الله اني لاتأخر عن
صلاة الصبح من اجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غضب
في موعظة قط اشد مما غضب في موعظته يومئذ فقال يا ايها الناس ان منكم منفرين
فايكم ام الناس فليوجز فان من ورائه الكبير والصغير وذو الحاجة قالت عائشة
قدم صلى الله عليه وسلم من سفر قد سترت سهوة لي اي صفة بين يدي البيت بقرام
اي ستر رقيق فيه تماثيل فلما رآه صلى الله عليه وسلم هتكه اي افسد الصورة
التي فيه ورماه بيده وقال يا عائشة اشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين
يضاهئون بخلق الله عز وجل قال انس رأى النبي صلى الله عليه وسلم نخامة في القبلة
فشق ذلك عليه حتى رؤي في وجهه الغضب فقام فحكه بيده وقال ان احدكم اذا قام
في صلاته فانما يناجي ربه او قال ان ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن احدكم قبل القبلة
ولكن عن يساره او تحت قدمه اي في غير المسجد ثم اخذ طرف ردائه فبصق فيه
ثم رد بعضه على بعض وقال او يفعل هكذا او ضنها ظن قوم ان الرياضة
تزيل الغضب بالكلية وآخرون انه لا يقبل العلاج اصلا قال الغزالي والحق ما نذكره
وحاصله ان الانسان ما دام يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغضب ثم المحبوب
ان كان ضروريا كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن من الغضب لاجل
تفويته وان كان غير ضروري اصلا كالجاه والصيت والتصدر في المجالس و
المباهات بالعلم والمال الكثير امكن عدم الغضب عليه لزهده نحوه وان كان
محبوبا بالعادة والجهل بمقاصد الامور واكثر غضب الناس على هذا القسم
او ضروريا في حق بعض الناس ككتب العلماء وآلات المحترفين وهذا القسم لا تغضب
بفواته الا المضطر اليه بخلاف غيره فاذا علم ذلك فالقسم الاول لا تؤثر الرياضة
في زواله بالكلية لان مقتضى الطبع بل في استعماله على حد يستحسنه الشرع ويستصوبه
العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال
خلقا راسخا وكذلك القسم الثالث لان من هو ضروري في حقه بمنزلة المضطر الى
الغضب على فواته فلا يمكن بالمجاهدة زواله بل ضعفه نظرا ما يترتب في الذي يقبله
واما القسم الثاني فيمكن بالمجاهدة زواله بالكلية لامكان اخراج حبه من القلب لعدم
اضطراره اليه ولملاحظة ان وطن الانسان الحقيقي القبر ومستقره الاخرة وانما
الدنيا محل تزود بقدر الضرورة وما وراء ذلك وبال عليه في وطنه ومستقره فليزهد
فيها ما حب حبها من قلبه نعم وصول الرياضة الى قلع اصلها نادر جدا وتامل قوله صلى الله عليه وسلم

اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها
منى صلاة عليه وزكاة وقربة يقربه بها اليك يوم القيمة وقال عمرو ابن العاص
يا رسول الله اكتب عنك ما قلت في الغضب والرضا فقال صلى الله عليه وسلم اكتب
فو الذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حقا واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب
ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب قال علي
كرم الله وجهه كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه
احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له والحاصل ان اعظم الطرق في الخلاص من الغضب
محو حب الدنيا عن القلب بمعرفة آفاتها وغوائلها واعظم الطرق في الوقوع
في ورطة الغضب العجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة
والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة
شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها بالمجاهدة و
الرياضة الى ان يتحلى باضدادها ومنها من الاحاديث ما يعلم به دواء
الغضب ومزيله بعد هيجانه ومرجعه الى العلم والعمل فالعلم بان يتفكر فيما سبق
في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فانه ح يرغب فيما اعده الله عليه
من الثواب فيزول ما عنده مما يحفظه الى الهوان والعذاب ومن ثم لما امر عمر رضي
لضرب رجل قرأ عليه خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقرأها عمر وتأملها
فخلاه وكان وقافا عند سماعه للقرآن لا يتجاوزه وتأسى به عمر بن عبد العزيز حين هم
في هذا فامر بضرب رجل ثم قرأ والكاظمين الغيظ وامر باطلاقه وبان يتأمل
في ان قدرة الله عليه اعظم من قدرته هو فربما لو امضى غضبه امضى الله غضبه فيه
هو احوج ما يكون الى العفو يوم القيمة ومن ثم جاء حكاية يا ابن آدم اذكرني حين
تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبان يحذر لنفسه عاقبة
الانتقام من تسلط المنتقم منه على عضبه واظهار محاسبه والشماتة بمصائبه
وغير ذلك من مكايد الاعداء فهذه غوائل دنيوية وينبغي لمن يتوكل على الاخرة
ان يقطع نظره عنها وبان يتفكر في قبح صورته عند غضبه مع قبح الغضب
عند نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري ومشابهة الحليم للانبياء والاولياء
ويتأمل بعد ما بين الشبهين وبان لا يصغى الى وسوسة الشيطان المهيجة
لغضبه فان تركه يورثه عجز عند الناس ويتأمل لان هذا دون عذاب الله
والانتقام المزعين على الغضب والانتقام اذ الغضبان يودو جرما ان الخلق غلي

رعقة

دفعت مراده دون مراد الله ومن وقع في هذه الورطة باء من غضب الله وعذابه
بما هو اعظم من غضبه وانتقامه والعلاج بان يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويأخذ
بانف نفسه ويقول اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني
من مضلات الفتن لحديث فيه ثم يجلس ثم يضطجع ليقرب من الارض التي
خلق منها حتى يعرف حقارة اصله وذل نفسه وليسكن عن الحركة الناشئ عنها
الحرارة الناشئ عنها الغضب كما في حديث ان الغضب جمرة يوقد في القلب
الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فليجلس
وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ في الماء البارد او يغتسل فان
النار لا يطفيها الا الماء وفي حديث آخر اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فان
الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من
النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وفي رواية اذا
غضب فاسكت وفي اخرى الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون
الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض
قال الغزالي وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل
المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل فتزايل به العزة والزهو الذي
هو سبب الغضب واستنشق عمر بماء عند غضبه وقال ان الغضب من الشيطان
وهذا يذهب الغضب وعير ابو ذر رضي الله عنه رجلا بامه السوداء قيل هو
بلال فعاتبه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال له يا ابا ذر ارفع راسك فانظر الى
السماء وعظم خالقها ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان
تفضله بالعلم ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ
وان كنت متكئا فاضطجع **ومنها** لا يجوز لك اذا ظلمت بنحو غيبة او
قذف او تجسس ان تقابل ذلك بمثله لانه لا حد له يوقف على المماثلة فيه والقصاص
انما يجري فيه المماثلة نعم رخص ائمتنا ان تقابله بما لا ينفك عن احد كاحمق
قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الانسان اقل
حماقة من بعض وقال عمر الناس كلهم حمقى في ذات الله وكجاهل اذ ما من احد الا
وفيه جهل وقال الغزالي وكذا يا سيء الخلق ويا صفيق الوجه يا ثلاب الاعراض
اذا كان ذلك فيه وكذا لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت
واخزاك الله وانتقم منك فاما نحو القذف وسب الوالدين فحرام اتفاقا والدليل

على ذلك ان زينب سبّت عائشة رضي الله عنهما فاجابتها حتى غلبتها بحضرته صلى الله
عليه وسلم فقال انها ابنة ابي بكر والمراد بالسبّ انها اجابتها عن كلامها بالحق
وقابلتها بالصدق والافضل ترك ذلك وان جاز لانه يجر الى ما هو ابلغ واتحش
وفي حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وفي آخره فشر الخلق
الى سريعها وبطيئها او سريع احدهما بطيء الآخر وجعل خيرهم بطيء الغضب وسريع الرضا
وشرهم عكسه **ومنها** قد مر ان من ثمرات الغضب الحقد فالحقد وبيانه ان
الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي حالا رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار
حقدا وحينئذ يلزم قلبه استثقاله وبغضه دائما وهذا هو الحقد ومن ثمراته ان تحسده
بان يتمنى زوال نعمة عنه وتغتم بنعمته وتفرح بمصيبته وان تشمت ببليته وتهجره
وتقاطعه وان اقبل عليك وتطلق لسانك فيه بما لا يحل وتهزا به وتمنعه حقه
وتوذيه وتمنعه حقه من نحو صلة رحم او رد مظلمة وكل ذلك شديد الاثم والتحريم
واقل درجات الحقد الاحتراز من هذه الآفات المنقصة للدين ومن ثم قال
صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود **ومنها** قد علمت قريبا معنى الحسد
فلا حسد الا على نعمة بان تكره تلك النعمة للغير وتحب زوالها عنه فان اشتهيت
لنفسك مثلها مع بقائها لذويها فهو غبطة وقد يخص باسم المنافسة
وهي قد تسمى حسدا كما في خبر لا حسد الا في اثنين وفي حديث المؤمن يغبط
والمنافق يحسد اذا تقرر ذلك فالاول حرام وفسق بكل حال نعم ان تمنى
زوال نعمة فاجر من حيث انها آلة فساده وايذاء الخلق ولو صلح حاله لم
يتمنها عنه فلا حرمة لانه لم يتمن زوالها من حيث كونها نعمة بل من حيث كونها
آلة الفساد والايذاء ويدل على تحريم الحسد وانه فسق وكبيرة ما قدمناه من
الاخبار ومن آفاته ان فيه تسخطا بقضاء الله اذ انعم على الغير بما لا مضرة
عليك فيه وشماتة باخيك المسلم قال تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان
تصبكم سيئة يفرحوا بها ود الذين كفروا من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء
ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله والثاني اعني الغبطة و
المنافسة فليس بحرام بل هو اما واجب او مندوب او مباح قال الله تعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم والمسابقة تقتضي
خوف الفوت كعبدين يتسابقان لخدمة مولاهما حتى يحظى السابق عنده

فالواجب

فالواجب يكون في النعم الدينية الواجبة كنعمة الايمان والصلاة المكتوبة
والزكوة فيجب ان يكون مثل القايم بذلك والا كنت راضيا بالمعصية والرضا
بها حرام والمندوب يكون في الفضائل كالعلوم وانفاق الاموال والمباح يكون
في النعم المباحة كالنكاح نعم المنافسة في المباحات تنقص من الفضل وتنافي الزهد
والرضا والتوكل وتحجب عن المقامات الرفيعة من غير اثم نعم هنا دقيقة ينبغي
التنبيه لها والا وقع الانسان في الحسد الحرام من غير ان يشعر وهي ان من ايس من ان ينال
من نعمة الغير فالضرورة ان نفسه تعتقد من انه ناقص عن صاحب تلك النعمة وانه يحب
زوال نقصها وزواله لا يحصل الا بمساواة ذي النعمة او بزوالها عنه وقد فرض ياسه
عن مساواته فيها فلم يبق الا محبته لزوالها عن الغير المتميز بها عنه اذ بزوالها يزول
تخلفه وتقدم غيره عليه فان كان بحيث لو قدر على ازالتها عن الغير لازالها فهو حسود
حسدا مذموما وان كان عنده من التقوى ما يمنعه عن ازالتها مع قدرته عليه ومن محبة
زوالها عن الغير فلا اثم عليه لان هذا امر جبلي لا ينفك النفس عنه ولعله المعني بالخبر
السابق كل ابن آدم حسود وفي رواية ثلثة لا ينفك المسلم عنهن الحسد والظن
والطيرة وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك شيا فلا تعمل به
وبعيد ممن يريد مساواة غيره في النعمة فيعجز عنها يسما ان كان من اقرانه ان ينفك
عن الميل الى زوالها فهذا الحد من المنافسة يشبه الحسد الحرام فينبغي الاحتياط التام
فانه متى صيغ الى محبة نفسه وقال باختياره الى مساواته لذي النعمة بمحبة زوالها
عنه فهو مرتبك في الحسد الحرام ولا يتخلص عنه الا ان قوي ايمانه ورسخ قدمه في
التقوى بما ومهما حركه خوف نقصه عن غيره جره الى الحسد المحظور والى ميل الطبع
الى زوال نعمة الغير حتى ينزل لمساواته وهذا لا رخصة فيه بوجه سواء كان في
مقاصد الدين ام الدنيا قال الغزالي ولكن ذلك يعفى عنه ما لم يعمل به ان شاء
الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له **ومنها** قد عرفت ماهية
الحسد واحكامه واما مراتبه فهي اما محبة زوال نعمة الغير وان لم تنتقل للحاسد
وهذا اغلظ الحسد او مع انتقالها اليه او انتقال مثلها اليه والا احب زوالها
لئلا يتميز عليه او لا مع محبة زوالها وهذا الاخير هو المعفو عنه من الحسد ان كان
في الدنيا والمطلوب ان كان في الدين كما مر **ومنها** لا شك ان الحسد من امراض
القلوب العظيمة وامراض القلوب لا تداوى الا بالعلم والعمل فالعلم النافع
لمرض الحسد ان تعرف انه يضر دينا ودنيا ولا يضر المحسود دينا ولا دنيا اذ لا تزول نعمة

يحسد فقط والالم يبق لله نعمة على احد حتى الايمان لان الكفار يحبون زواله
عن اهله بل المحسود منتفع بحسدك دينا لانه مظلوم من جهتك سيما ان
ابرزت حسدك الى الخارج بالغيبة وهتك الستر وغيرهما من انواع الايذاء
فهذه هدايا يهدي اليه حسناتك بسببها حتى تلقى الله يوم القيمة مفلسا
محروما من النعم كما حرمت منها في الدنيا وكنت بالسلامة من غمك وحزنك وغيرهما
مما [illegible] ومتى انكشف غشا بصيرتك وزين قلبك وتاملت ذلك ولم تكن
عدو نفسك ولا صديق عدوك اعرضت عن الحسد اصلا وراسا حذرا من
انك به قد وقعت في ورطة عظيمة وهي انك قد سخطت قضاء الله و
كرهت قسمة الله وعدله هذه جناية اي جناية على حضرة التوحيد ودنا بك
به جناية على الدين وكيف ولانت قد فارقت بذلك الانبياء والاولياء
والعلماء العاملين في حبهم وصول الخير لعباد الله وشاركت ابليس والشياطين
في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل
حسناته كما تاكل النار الحطب هذا مع ما ينضم لذلك من حزن الدنيوي بتوالي
الهم والغم عليك كلما رايت محسودك يتزايد في النعم وانت تتناقص منها
فان هذا من جملة آفات حسدك فانت دائما في غاية الحزن والغم وضيق الصدر
والتشوش القلب كما تشتهي لاعدائك وكما تشتهون لك فلو فرض
انك لم تؤمن ببعث ولا حساب لكان من الحزم ترك الحسد حتى تسلم من هذه
العقوبات الدنيوية الناجزة قبل العقوبات الاخروية فنظر انك عدو
نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة ولم
ينتفع به عدوك فيهما وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا حالا ومآلا
واما العمل النافع لذلك المرض فهو ان تكلف نفسك ان تفعل بالمحسود
ضد ما تقتضاه حسدك فتعوضه بالذم المدح وبالتكبر عليه التواضع له وبمنع
او خال رفق عليه زيادة الارفاق به وهكذا فبهذا يضعف داء الحسد و
كلما زدت من ذلك ازداد تناقص الحسد الى ان ينعدم فافهم تسلم وامتثل
تغنم والله الموفق واليه ترجع الامور **ومنها** لا شك ان كل احد
يتبغض من اذاه طبعا فلا يستوي عنده حسن حاله وسوؤه غالبا وبهذا ياتي
الشيطان النفس الى حسده فان اطاعته حتى اظهرت الحسد بقول او فعل
اختياري او ابطنته وبان احببت زوال نعمته وفي عاصية بجسدك ولست

معصية الحسد بالقلب فحسب مظلمة متعلقة بالحق فلا يشترط في التوبة منها استحلال
المحسود لانها امر باطن لا يطلع عليه الا الله تعالى فيجب كففت ظاهرك والزمت مع
ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما
في طبعها فكانت تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع وقد يكون
تداويت الواجب ولا يدخل تحت اختيارك غالبا اكثر من هذا فاما تغيير الطبع الى
ان يستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه بنعمتهما وغمه ببليتهما سواء فامر يأبى
الطبع ما لم يستغرق في محبة الله تعالى ويشتغل بها الى ان يرى الخلق كلهم بعين
واحدة وهي عين الرحمة وقد يحصل هذه الحالة لا تدوم بل يكون كالبرق ثم يعود
القلب الى طبعه والشيطان اي منازعة بالوسوسة ومهما قابل ذلك بكراهة فقد
ادى ما كلفه وقد ذهب قوم الى انه لا يأثم ما دام الحسد لم يظهر على جوارحه لخبر
ثلث لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي وهذا ضعيف او
بل الصواب ما مر من حرمته مطلقا ويحمل الخبر ان صح على ما تقرر من انه يكره دينا وعقلا
في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وهذه الكراهة تمنعه من البغي والايذاء وقد
وردت الاخبار الصحيحة بذم كل حاسد واخبر والحسد ليس حقيقة الا في القلب وكيف
يسوغ لاحد ان يحب مساءة مسلم واشتمال قلبه عليها من غير كراهة منه لذلك

خاتمة في ذكر شيء من فضائل كظم الغيظ والعفو والصفح والحلم والرحمة والحب في الله تعالى

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور فاصفح الصفح الجميل وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان
يغفر الله لكم والله غفور رحيم واخفض جناحك للمؤمنين ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك والآيات في ذلك كثيرة معلومة واخرج الشيخان
ان الله عز وجل رفيق يحب الرفق في الامر كله يسروا ولا تعسروا وبشروا
ولا تنفروا ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اخذ ايسرهما ما لم
يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنفسه قط في شيء الا ان تنتهك حرمة الله عز وجل فينتقم لله عز وجل الا اتي عليك

يا رسول الله يوم كان اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم
يوم العقبة اذا عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت
فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب ورفعت
راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني
فقال ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك
الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي وقال يا محمد ان الله قد
سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بما شئت
فان شئت اطبقت عليهم الاخشبين فقلت بل ارجو ان يخرج الله عز وجل من
اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا قال انس كنت امشي مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه بردائه
جبذة شديدة فنظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد اثرت بها
حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت
اليه وضحك ثم امر له بعطاء قال ابن مسعود كاني انظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحكي نبيا من الانبياء وقد ضربه قومه فادموه وهو يمسح الدم عن وجهه
ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
الذي يملك نفسه عند الغضب وسلم ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة
قاله لاشج عبد القيس كما ياتي ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على
الرفق ما لا يعطي على ما سواه ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع
من شيء الا شانه من يحرم الرفق يحرم الخير كله ان الله عز وجل كتب الاحسان
على كل شيء فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبح وليحد
احدكم شفرته وليرح ذبيحته ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط
بيده ولا امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم
من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله عز وجل قال ابو هريرة قال
رجل يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون
الي واحلم عليهم ويجهلون علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لئن كنت
كما قلت فكانما تسفهم المل اي الرماد الحار ولا يزال معك من الله عز وجل
ظهير عليهم ما دمت على ذلك وللبخاري ان ذا الخويصرة لما بال في المسجد
قام الناس اليه ليقعوا فيه فقال صلى الله عليه وسلم دعوه واريقوا على بوله سجلا

اي الفتح

أي بفتح المهملة وسكون الجيم من ماء أو قال ذنوبا أي بفتح المعجمة وكلاهما الدلو الممتلئة
ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين وأحمد والبخاري في الأدب وابن سعد
وأبو يعلى والبغوي وابن حبان وأبو الشيخ واسمه المنذر بن عامر إن فيك لخلتين
يحبهما الله الحلم والحياء ومسلم والترمذي عن ابن عباس ومسلم عن أبي سعيد وأحمد
والطبراني وأبو داود والبغوي والبيهقي عن أم أبان عن جدها والطبراني وأبو يعلى
عن الأشج والطبراني عن ابن عمر والترمذي وأبو نعيم عن جويرة إن فيك لخصلتين
يحبهما الله الحلم والأناة والباوردي يا أشج إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله
والطبراني فيك خلقان يحبهما الله الأناة والتؤدة والترمذي وحسنه ألا أخبركم
بمن يحرم على النار أو قال من تحرم عليه النار قلنا بلى يا رسول الله قال تحرم على كل قريب
هين لين سهل والطبراني خيار أمتي أحداؤها وهم الذين إذا غضبوا رجعوا الحدة
تعتري خيار أمتي تعتري الحدة خيار أمتي وابن عدي الحدة تعتري حملة القرآن
لعزة القرآن في أجوافهم والديلمي الحدة لا تكون إلا في صالحي أمتي وأبرارها والكسبخي
والديلمي ليس أحد أحق بالحدة من حامل القرآن لعزة القرآن في جوفه وأبو نعيم
إن الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جبارا ولا يملك إلا أهل
بيته والخطيب الحليم سيد في الدنيا وسيد في الآخرة كاد الحليم أن يكون نبيا وابن
ماجه يا أشج إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والتؤدة وهي بالدال المهملة
التأني في الأمور حتى يتبين حسنها من قبحها والبيهقي ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف
من لا بد من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجا وأبو نعيم ما أزين من حليم ما
أوذي أحد ما أوذيت في الله وأحمد والطبراني ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله
من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وابن ماجه ما من جرعة أعظم أجرا عند الله
من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله وابن أبي الدنيا ما من جرعة أحب إلى الله
من جرعة غيظ يكظمها ما كظمها عبد إلا ملأ الله جوفه إيمانا وأبو داود من كظم غيظا
وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو
يقدر عليه تواضعا كساه الله حلة الكرامة ومن زوج لله توجه الله تاج الملك وأصحاب
السنن الأربعة من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق
يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما شاء وابن أبي الدنيا من كف
غضبه ستر الله عورته وابن عساكر تجب محبة الله على من أغضب فحلم وابن
عدي ابتغ الرفعة عند الله تحلم عمن جهل عليك وتعطي من حرمك وابن السني

ما اضيف شيء الى شيء افضل من حلم الى علم وابن الشاهين عن ابن مسعود ما اعز الله
بجهل قط ولا اذل الله بحلم قط ولا نقصت صدقة من مال قط والديلمي عن
تبيان كلمة حكمة من سفيه وكلمة سفيهة من حكيم فاعرفوها فانه لا حليم الا ذو عثرة
ولا حكيم الا ذو تجربة والعسكري لا حليم الا ذو اناة ولا عليم الا ذو عثرة ولا
حكيم الا ذو تجربة والطبراني من لا يرحم من في الارض لا يرحمه من في السماء اي
عزه وسلطانه من لا يرحم لا يرحم من لا يغفر لا يغفر له ومن لا يتب لا يتوب الله
عليه انما يرحم الله من عباده الرحماء ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق
كبيرنا وليس منا من غشنا ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب للمؤمنين ما يحب
لنفسه البركة في اكابرنا فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا فليس منا والدولابي
وابو نعيم وابن عساكر خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر
واحمد وابو داود والترمذي والحاكم الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا
من في الارض يرحمكم من في السماء زاد الثلاثة المتاخرون والرحم شجنة
من الرحمن اي لفظها مشتق من اسم الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه
الله واحمد والشيخان وابو داود والترمذي لا يرحم لا يرحم وابو داود وابن حبان
والحاكم لا ينزع الرحمة الا من شقي واحمد وابو نعيم والبيهقي ارحموا ترحموا
واغفروا يغفر لكم ويل لاقماع القول الذين يستمعونه ولا يعملون به ويل
للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون ومسلم لا يستر عبد عبدا في الدنيا
الا ستره الله يوم القيمة وابن ماجة من ستر عورة اخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيمة
ومن كشف عورة اخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته واحمد
والطبراني والبيهقي وابن عدي اشكر الناس لله اشكرهم للناس والترمذي
خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله
شاكرا ولا صابرا من نظر في دينه الى من فوقه فاقتدى به ونظر في دنياه الى من
هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكرا صابرا ومن نظر في دينه الى
من هو دونه ونظر في دنياه الى من هو فوقه فاسف على ما فاته عنه لم يكتبه الله
شاكرا ولا صابرا واحمد والطبراني انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى
من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم والبيهقي بعثت بمداراة
الناس راس العقل المداراة واهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في
الاخرة وابن حبان والطبراني والبيهقي مداراة الناس صدقة والديلمي اتق الله

ق
الشكر

امر فيه بمداراة الناس كما امرني باقامة الفرائض وابن ابي الدنيا راس العقل بعد الايمان
بالله مداراة الناس واهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الاخرة واهل المنكر في
الدنيا اهل المنكر في الاخرة واحمد من اذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على ان ينصره اذله
على رؤس الاشهاد يوم القيامة ومسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة اين المتحابون
بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي والترمذي وحسنه المتحابون في جلالي
لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء ومالك باسناد صحيح قال الله تبارك وتعالى
وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ وفي
الحديث الصحيح اذا احب الرجل اخاه فليخبره انه يحبه

الكبيرة الرابعة الكبر والعجب والخيلاء

قال الله تعالى سأصرف
عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيد كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار انه لا يحب المستكبرين ان
الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين والايات
في ذم الكبر كثيرة اخرج الشيخان بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل اي ممشط
راسه مختال في مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة والبخاري
وغيره بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الارض
الى يوم القيامة والخيلاء بضم الخاء المعجمة وكسرها وبفتح الياء ممدود هو الكبر و
العجب ويتجلجل بجيمين اي يغوص وينزل فيها واحمد والبزار بسند صحيح بينما
رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين اخضرين يختال فيهما امر الله الارض فاخذته
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وصح ايضا ان رجلا كان في حلة حمراء فتبختر او
اختال فيها فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ومسلم ان الله
لا ينظر الى من يجر ازاره بطرا والترمذي خرج رجل ممن كان قبلكم في حلة له يختال
فيها فامر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ومسلم وابو داود
والترمذي وابن ماجه لا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولا
يدخل الجنة احد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبرياء والترمذي لا يزال الرجل يتكبر
ويذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم والنسائي والترمذي واللفظ
له وقال حديث حسن يحشر المتكبرون يوم القيامة امثال الذر في صور الرجال يغشاهم
الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون
من عصارة اهل النار طينة الخبال وبولس بموحدة مضمومة فواو ساكنة بلام مفتوحة

مهملة والخبال بفتح المعجمة فالموحدة وفي رواية يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا
في صورة الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجين في جهنم
يقال بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة اهل النار وفي
اخرى يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صورة الذر يطاؤهم الناس
لهوانهم على الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقيل ان الرجل
يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر
بطر الحق بفتح الموحدة والمهملة رده ودفعه وغمط الناس اي بفتح المعجمة وسكون
الميم وبالمهملة وهو احتقارهم وازدراهم وكذا غمصهم بالمهملة وقد رواه
الحاكم فقال ولكن الكبر من بطر الحق وازدري الناس وقال احتجا به
الشيخان برواية ومسلم والنسائي وابن ماجة الا ان الذي يجر ثيابه من الخيلاء
لا ينظر الله اليه يوم القيمة والحاكم وصححه على شرط مسلم الكبرياء ردائي
فمن نازعني ردائي قصمته وسمويه قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعز ازاري
فمن نازعني في شيء منهن عذبته واحمد وابو داود وابن ماجة قال الله تعالى الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار والطبراني
ان الله تعالى يقول ان العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما عذبته
ومسلم وابو داود وابن ماجة واللفظ له يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم واحمد وابن ماجة والحاكم ما من
رجل يتعاظم في نفسه ويختال في مشيته الا لقي الله وهو عليه غضبان والبزار
كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم او ليكونن اهون
على الله من الجعلان وابن عساكر اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على ان لا يسجد
لآدم واياكم والحرص فان آدم حمله الحرص على ان اكل من الشجرة واياكم والحسد
فان ابني آدم انما قتل احدهما صاحبه حسدا فهذا اصل خطيئة والطبراني واياكم
والكبر فان الكبر يكون في الرجل وان عليه العباة واحمد والشيخان والترمذي
والنسائي وابن ماجة الا اخبركم باهل النار كل عتل اي بضمتين فتشديد الغليظ
الجافي جواظ اي بفتح الجيم وتشديد الواو وبالمعجمة هو الجموع المنوع وقيل
الضخم المختال في مشيته وقيل القصير البطين جعظري مستكبر والشيخان
الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر وابو داود لا يدخل الجنة الجواظ
ولا الجعظري قال والجواظ الغليظ الفظ والطبراني ان الله يبغض ابن سبعين

في اهله

في اوله ابن عشرين في مشيته وحفظه والديلمي ان الله يبغض البذخين الفرحين المرحين
وابو بكر بن لال وعبد الغني بن سعد وابن عدي اجتنبوا الكبر فان العبد لا يزال يتكبر حتى
يقول الله تعالى اكتبوا عبدي هذا في الجبارين والترمذي وحسنه لا يزال العبد يذهب بنفسه
اي يترفع ويتكبر حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم وصح لو لم تذنبوا لخشيت عليكم
ما هو اكبر منه العجب وابو داود والحاكم الكبر من بطر الحق وغمط الناس وابو نعيم والبيهقي
برئ من الكبر لبس الصوف ومجالسة فقراء المؤمنين وركوب الحمار واعتقال العنز والبيهقي
من حمل سلعته فقد برئ من الكبر والحاكم سيصيب امتي داء الامم الاشر والبطر والتكاثر والتشاحن
في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي واحمد الفخر والخيلاء في اهل الابل والسكينة
والوقار في اهل الغنم ومسلم والنسائي ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم
ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل اي فقير مستكبر والنسائي وابن حبان في
صحيحه اربعة يبغضهم الله تعالى البياع الحلاف والفقير المختال والشيخ الزاني والامام
الجائر وابنا خزيمة وحبان في صحيحهما عرض علي اول ثلثة يدخلون النار امير مسلط وذو
ثروة من مال ولا يؤدي حق الله فيه وفقير فخور والبزار باسناد جيد ثلثة لا يدخلون
الجنة الشيخ الزاني والامام الكذاب والعائل المزهو اي المعجب بنفسه المتكبر والطبراني
لا يدخل الجنة مسكين متكبر ولا شيخ زان ولا منان على الله بعمله واحمد واصحاب السنن الا ابن
ماجه من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان والطبراني اقبل رجل يمشي في بردين
له قد اسبل ازاره وينظر في عطفيه وقد اعجبته فتبختر اذ خسف الله به الارض فيتجلجل فيها الى يوم
القيمة والديلمي ان الله يحب ابن ثلثين اذا كان شبه ابن ثمانين اي في التضعف و
التواضع ويبغض ابن ستين اذا كان شبه ابن عشرين واحمد والبخاري لا ينظر الله يوم
القيمة الى من جر ازاره بطرا واحمد والشيخان واصحاب السنن الاربعة من جر ثوبه خيلاء
لم ينظر الله اليه يوم القيمة وابن لال الجبروت في القلب والبيهقي ان الناس لا يرفعون
شيئا الا وضعه الله والديلمي ان العجب ليحبط عمل سبعين سنة والطبراني لو كان العجب
رجلا لكان رجل سوء والبيهقي لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما اكبر من ذلك العجب
العجب وروي احمد بسند رواته رواة الصحيح والبيهقي في شعب الايمان من طريق
عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو على المروة
فتحدثا ثم مضى ابن عمرو وقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا
يعني عبد الله ابن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه
مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله في النار على وجهه وروى ابو داود والترمذي

وحسنه لينتهين اقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هو فحم جهنم او ليكونن اهون
على الله من الجعل اي بضم ففتح دويبة ارضية الذي يدهده اي يدحرج وزنا
ومعناه الخراءة بانفه ان الله تعالى اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالاباء
انما هو مؤمن تقي وفاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب وعبية بضم العين
المهملة وكسرها وتشديد التحتية اي الكبر والفخر والنخوة وقال سليمان بن داود
صلى الله على نبينا وعليهما وعلى سائر الانبياء وسلم يوما للجن والانس والطير
والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى
سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السماوات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا
لو كان في قلب صاحبكم مثقال حبة ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال
صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا متفق عليه وقال زيد بن
اسلم دخلت على ابن عمر فمر بعبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول
يا بني ارفع ازارك فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من
جر ازاره خيلاء رواه مسلم معتمدا على المرفوع دون ذكر مرور عبد الله بن واقد
على ابن عمر وفي رواية لمسلم انه مر رجل من بني ليث غير مسمى وروى ابن
ماجه والحاكم وصحح اسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم بزق يوما على كفه ووضع
اصبعه عليها وقال يقول الله تعالى يا ابن آدم انى تعجزني وقد خلقتك من مثل
هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت
ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وقال
صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران
ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر
وبالمصورين رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب واخرج الشيخان
انه صلى الله عليه وسلم قال تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين
والمتجبرين فقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم و
عجزتهم فقال الله عز وجل للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي
وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة منكما
ملؤها وفي رواية لمسلم احتجت الجنة والنار فقالت النار فيّ الجبارون
والمتكبرون وقالت الجنة فيّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم فقضى الله بينهما انك
الجنة رحمتي ارحم بك من اشاء وانك النار عذابي اعذب بك من اشاء ولكليكما

على ملوها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد
عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولهى ونسي المقابر والبلى بئس
العبد عبد عتا وطغى ونسي المبدا والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدين بالشهوات بئس
العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله رواه الترمذي
وقال غريب وليس اسناده بذاك القوى ورواه الحاكم وصححه والبيهقي وضعفه ورواه الطبراني
من حديث نعيم الخثعمي اخصر منه وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم
فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض رواه ابن حبان في صحيحه ورواه الترمذي
وابن حبان من طريق اخرى المطيطا بضم الميم وفتح الطائين المهملتين بينهما
ياء مصغرا ولم يسمع مكبرا ممدودا ويقصر هو التبختر ومد اليدين في المشي وقال صلى
الله عليه وسلم من تعظم في نفسه او اختال في مشيته لقي الله تعالى وهو عليه غضبان رواه
الطبراني بسند صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه واخرج احمد والبخاري في الادب والحاكم بزيادة فيه اوله
وصححه عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا صلى الله عليه وسلم
لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن
الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت في كفة
الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منها ولو ان السموات
والارض كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله
وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال عيسى صلى الله عليه وسلم طوبى لمن
علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه مر في
السوق وعليه حزمة من حطب فقيل له ما يحملك على هذا وقد اغناك الله عن هذا قال
اردت ان ادفع الكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة
من كبر رواه الطبراني باسناد حسن والاصبهاني الا انه قال مثقال ذرة من كبر وعن
كريب قال كنت اقود ابن عباس في زقاق ابي لهب فقال يا كريب بلغنا
مكان كذا وكذا قلت انت عنده الآن قال حدثني العباس بن عبد المطلب قال
بينما انا مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع اذ اقبل رجل يتبختر بين بردين و
ينظر الى عطفيه قد اعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض في هذا الموضع فهو يتجلجل
فيها الى يوم القيمة رواه ابو يعلى واخرج احمد والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال اهل
النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المغلوبون ورواه

الطبراني باسناد حسن والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولفظه يا سراقة الا اخبرك باهل
الجنة واهل النار قلت بلى يا رسول الله قال اما اهل النار فكل جعظري جواظ مستكبر
واما اهل الجنة فالضعفاء المغلوبون وفي رواية لاحمد ورواتها رواة الصحيح الا محمد
بن جابر عن حذيفة كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال الا اخبركم بشر عباد الله
الفظ المستكبر الا اخبركم بخير عباد الله الضعيف المستضعف ذي الطمرين لا يؤبه له لو اقسم
على الله لابره واتفق الشيخان الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم
على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر وقال صلى الله عليه وسلم ان من احبكم
الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الي وابعدكم منا الثرثا
رون والمتشدقون اي المتوسعون في الكلام والمتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثر
ثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون رواه الترمذي وحسنه واحمد والطبراني
وابن حبان في صحيحه الثرثارون بمثلثتين مفتوحتين وتكرير الراء كثير الكلام تكلفا والمتشدق
المتكلم بملء شدقه تفاصحا وتعاظما واستعلاء على غيره وهو المتفيهق وعن
محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان
يسكنه كل جبار عنيد فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه رواه ابو يعلى والطبراني وصححه
الحاكم وهبهب بفتح الهائين وبموحدتين وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة
في صور الذر رواه البزار وسنده حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار لتوابيت
يجعل فيها المتكبرون فتغلق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم من فارق روحه جسده
وهو بريء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول رواه الترمذي بلفظ من مات وهو بريء
من الكبر والغلول والدين دخل الجنة والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم
وقال صحيح على شرطهما وضبط بعض الحفاظ الكنز بالنون والزاي وليس بمشهور وقال
ابو بكر رضي الله عنه لا يحقرن احد المسلمين فان حقير المسلمين عند الله كبير وقال وهب
لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال لها انت حرام على كل متكبر وقال الاحنف
عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم
يغسل الخرء بيده كل يوم مرة او مرتين ثم يعارض جبار السموات والارض وسئل سلمان
عن السيئة التي لا ينفع معها حسنة فقال الكبر ونظر الحسن الى امير شيء متبختر فقال
اف اف شامخ بانفه ثان عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي احمق انت تنظر في عطفيك
في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بامر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها فسمع

لجاره

فجاءه معتز فقال لا تعتز الى وتبه الى ربك اما سمعت قول الله تعالى
ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا
واختال عمر بن عبد العزيز في مشيته قبل الخلافة فغمزه طاوس في جنبه باصبعه
وقال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني
على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال في مشيته فقال له
اتدري من انت فاما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا اكثر الله في
المسلمين مثله ورأى مطرف المهلب يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله ان هذه
مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك
نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت تحمل بين ذلك عذرة فترك المهلب مشيته تلك

تنبيهات الكبيرة

منها عد ما ذكر من الكبائر ظاهر وبه صرح جماعة وعبارة
بعضهم الكبيرة التاسعة عشر الكبر والفخر والخيلاء والعجب والتيه وسيأتي في
باب اللباس بسط فيه واستدلوا له ببعض ما مر من الاحاديث كحديث لا يدخل
الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وحديث الخسف بالمتبختر وفي تفسير
القرطبي في قوله تعالى ولا يضربن بارجلهن ان فعلته تبرجا وتعرضا للرجال حرام
وكذا من ضرب بنعليه من الرجال عجبا حرم لان العجب كبيرة **ومنها**
التكبر اما على الله فهو افحش انواع التكبر كتكبر فرعون ونمرود حيث استنكفا
ان يكونا عبدين له تعالى وادعيا الربوبية قال تعالى ان الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين لن يستنكف المسيح الآية واما على
رسوله بان يمتنع من الانقياد له تكبرا جهلا او عنادا كما حكى الله ذلك عن كفار مكة
ونظرائهم من الامم واما على العباد بان يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدريه فيأبى
عن الانقياد له او يترفع عليه ويأنف من مساواته وهذا وان كان دون الاولين الا
انه عظيم اثمه ايضا لان الكبرياء والعظمة انما يليقان بالملك القادر القوي المتين
دون العبد العاجز الضعيف فتكبره فيه منازعة لله في صفة لا يليق الا بجلاله
فهو كعبد اخذ تاج ملك وجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت واقرب
استعجاله للخزي ومن ثم قال تعالى كما مر في احاديث انه من نازعه الكبرياء
والعظمة اهلكه اي لانهما من صفاته الخاصة به فالمنازع فيهما منازع في بعض صفاته
تعالى وايضا فالتكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر عليهم فقد جنى عليه اذ من
استذل خواص غلمان الملك منازع له في بعض امره وان لم يبلغ قبح من اراد الجلوس

على سريره ومن لوازم هذا الكبر ممنوعية مخالفة اوامر الحق لان المتكبر ومنه المتجادلون
في مسائل الدين بالهوا والتعصب تابى نفسه من قبول ما سمعه من غيره وان اتضح
سبيله بل يدعوه كبره الى المبالغة في تزييفه واظهار ابطاله فهو على حد وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون واذا قيل له اتق
الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما
اذا قيل له اتق الله ان يقول عليك بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك
فقال متكبرا لا استطيع فشلت يده فلم يرفعها بعد فان التكبر على الخلق يدعو
الى التكبر على الخالق الا ترى ان ابليس لما تكبر على آدم وحسده بقوله انا خير منه
جره ذلك الى التكبر على الله ومخالفة امره فهلك هلاكا مؤبدا ومن ثم جعل صلى
الله عليه وسلم من علامات الكبر بطر الحق اي رده وغمط الناس اي استحقارهم
وازدراهم ثم الحامل على التكبر هو اعتقاد كمال تميزه عن الغير بعلم او عمل او نسب
او مال او جمال او جاه او قوة او كثرة اتباع فالتكبر اسرع الى العلماء الذين
لم يمنحوا النور التوفيق منه الى غيرهم لان الواحد منهم يرى غيره بالنسبة اليه كالبهيمة
فيتهم في حقوقه التي طلبها الشارع منه كالسلام والعيادة والبشر ويطلب
منه ان لا يخل بشيء من حقوقه لمحبة الترفع عليه وقال على ذلك اجهل الجاهلين لانه
جهل مقدار نفسه وربه وخطر الخاتمة وعكس الموضوع اذ من شان العلم ان يوجب
مزيد الخوف والتواضع لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في شكر نعمته لكن
سبب ذلك ان علمه اما يرجع الى الدنيا او انه لم يخلص النية فيه فخاض فيه على غير
وجهه فانتج له تلك النتائج وكذلك العمال الذين ظهرت عليهم سيماء الصالحين
يسرع اليهم الكبر لكون الناس يتوددون اليهم بتقبيل ايديهم والمبالغة في اكرامهم
فيزدون في ازدياد ذلك واحبوا بان يكون الناس دونهم لعدم وصولهم الى صور اعمالهم
وما دروا ان ذلك ربما يكون سببا لسلبهم كما وقع ان خليعا من بني اسرائيل
جلس الى عابد لينتفع به فانف من مجالسته وطرده فاوحى الله الى نبيهم انه غفر
للخليع واحبط عمل العابد فالجاهل العامي اذا تواضع هيبة لله وخوفا منه
فقد اطاع بقلبه فهو اطوع من العالم المتكبر والعابد المعجب وقد ينتهي الحمق
والغباوة ببعض العباد الى انه اذا اوذي يتوعد موذيه ويقول سترون
ما يحل به واذا نكب موذيه عد ذلك من كراماته لعظم قدر نفسه عنده وما …
الجهل عليه بجمعه بين العجب والكبر والاغترار بالله تعالى وقد قيل حما

الخليع الذي كثر معاصيه

الا

ان يتبعا وما توا من غير ان يحاولوا بعد طلب في الدنيا فما رتبة هذا الجاهل واذا اتضح
لك كبر هذين النوعين اللذين هما في الظاهر عليهما مدار الدين والدنيا اتضح لك
كبر البقية من ذوي الاموال والجاه وغيرهم فالمتكبر بالنسب قد يرى من ليس كنسبه
مثل عبده وكذا بالجمال واكثر ما يجري بين النساء ونحوهن وكذا بالمال كما يشاهد بين
ارباب الدنيا من المناصب والمعاش وغيرهما وكذا بالاتباع والجند واكثر ما يجري
بين الملوك ومما يهيج الكبر ويثير ناره العجب والحقد والحسد والرياء اذ التكبر خلق
باطن لانه استعظام النفس ورويته قدرها فوق الغير وموجب الحقيقي هو العجب
وحده كما يعلم مما يأتي في معناه فان من اعجب بشيء من عمله علما او عملا او غيرهما فانه
استعظم نفسه وتكبر وعزه وتجبر واما غير العجب مما ذكرنا فانما هو سبب للتكبر الظاهر لان
باعثه على المتكبر عليه هو الحقد والحسد وعلى غيره هو الرياء **ومنها** يتعين على
كل انسان اراد الخلاص من ورطة الكبر وثمرته القبيحة اذ هو من المهلكات
ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه فازالته فرض عين وهي لا يمكن بمجرد التمني
بل بالمعالجة باشتغال ادويته النافعة في ازالته من اصله بان يعرف نفسه حق
المعرفة بان يتأمل في ما اشار الى بدايته من ارذل الاشياء واحقرها واقذرها وهو
التراب ثم المني ووسطه من التأهل لاكتساب العلوم والمعارف وحيازة
المناصب والمراتب ونهايته من الزوال والفناء والعود الى مثل بدايته ثم اعادته
الى ذلك الموقف الاكبر ثم الى الجنة او النار ومن اظهر ما اشار لذلك قوله تعالى
قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره
ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فلينظر الانسان الى طعامه
الآيات الى آخر السورة وقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر الآيات فمن
تامل ذلك ونظائره وما اشارت اليه علم انه اذل واحقر من كل ذليل وحقير وانه لا
يليق به الا الذلة والتواضع وبان يعرف ربه ليعلم انه لا يليق العظمة
والكبرياء الا به تعالى بخلاف نفسه فانه لا يليق به الفرح لحظة واحدة فكيف
البطر والخيلاء بعد ان ظهر له مبدأ امره ووسطه ولو ظهر له آخره والعياذ بالله ربما
اختار ان يكون بهـ[illegible] كيف لا سيما ان كان في علم الله من اهل النار ولو رأى
اهل الدنيا صورة [illegible] صور اهل النار [illegible] من قبحها وما قوام نتنها فمن هذا
[illegible] بشر الا ان يعفو عنه وهو على شك في العفو كيف يتكبر ويرى لنفسه شيئا واي عبد
لم يذنب ذنبا يستحق به عقوبة الله الا ان يعفو عنه الكريم بفضله ومن تامل

ما ذكرناه حقيقة التامل زال عنه النظر الى علمه وعمله ونسبه وجاهه وماله ونظر الى الله
من كل شيء وتواضع له وعلم انه احقر واذل من كل شيء كيف وهو يجوز ان يكون عند الله
شقيا ومما يظهر الكبر الكامن في النفس ويعلم به من سولت له نفسه انه متنزه عنه
ان يناظر في مسالة مع بعض اقرانه ويظهر الحق على يد صاحبه فان اطمأن لقبوله
واعلن شكره وفضله اذ اظهر له الحق على يديه وكان كذلك مع كل مناظر فهذه دلالة
على براءة من الكبر وان اختل شرط من ذلك فهو كامن فيه فيعالجه بالتفكر فيما مر
ونحوه الى ان تنقطع عروقه من نفسه وبان تقدم اقرانه على نفسه في المجالس ونحوها
لكن على وجه لا يظن به انه اظهر تواضعا والا كان يترك صفهم ويجلس مع النعال
كان ذلك عين الكبر وبان يجيب دعوة الفقير ويحادثه ويجالسه ويمر في الاسواق
لحاجته وحاجات الفقراء والمنقطعين وبان يحمل حاجته وحاجة غيره فان ذلك
براءة من الكبر كما في حديث ويستوي ذلك عنده في الخلاء وبحضرة الملاء والا
فهو متكبر ومراء وكل ذلك من امراض القلوب وعللها المهلكة لها ان لم يتدارك
وقد اهمل الناس طبها واشتغلوا بطب الاجساد مع انه لا سلامة لها في الاخرة
الا بسلامتها الا من اتى الله بقلب سليم اي من الشرك او مما سوى الله **ومنها**
وفي الاحاديث ذم العجب وانه من المهلكات ومن ثم ذمه تعالى بقوله ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وبقوله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقد يعجب
الانسان بعمل وهو مخطئ فيه او مخطئ وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين
القنوط والعجب لان القانط آيس من نفع الاعمال ومن لازم ذلك تركها
والمعجب يرى انه سعد وظفر بمراده فلا يحتاج لعمل ومن ثم قال الله تعالى
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومن تزكية النفس اعتقادها بارة وهذا
معنى العجب وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت
قائما واصبح معجبا ولقد اطال بشر بن منصور الصلوة فقال بعد سلامه لمن
ادرك انه فطن له لا يعجبك ما رايت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله مع
الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه **و منها للعجب**
افات كثيرة منها تولد الكبر عنه كما مر فيكون آفات الكبر آفات للعجب
لانه الاصل ومنها منع العباد والاهمال فهو ينسى الذنوب فلظنه انه لا يؤاخذ بها
فلا يتدارك فرطاتها ولا يتنصل من عذابها ويورث استعظام عبادته وامتنانه
على الله بفعلها ويعمى عن تفقد آفاتها فتضيع كل سعيه او اكثره اذ العمل ما لم ينقح

من الثوايب لا ينفع وانما يحمل على تنقية منها الخوف والمعجب عزته لنفسه
بربه فامن مكره وعقابه وعدان له عليه حقا بعمله فزكى نفسه واعجب برايه وعقله
وعلمه حتى استبد بذلك ولم تطمئن نفسه ان يرجع لغيره في علم ولا عمل فلا
يستمع نصحا ولا وعظا لنظره الى غيره بعين الاحتقار فعلم ان العجب
انما يكون بوصف هو كمال في حد ذاته لكنه ما دام خائفا من سلبه من اصله فهو
غير معجب به وكذا لو فرح به من حيث انه نعمة من الله انعم بها عليه بخلاف ما
اذا فرح به من حيث انه كمال متصف به مع قطع نظره عن نسبته الى الله فان
هذا هو العجب فهو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها
الى الله فان انضم لذلك ان توقع جزاء عليها لاعتقاده ان له عند الله
حقا وانه منه بمكان سمي مدلالا فالادلال احقر من العجب **ومنها**
قد علم مما مر الفرق بين الكبر والعجب وانفصاح ان الكبر اما باطن وهو خلق
في النفس واسم الكبر بهذا احق واما ظاهر وهو اعمال تصدر من الجوارح
وهي ثمرات ذلك الخلق وعند ظهورها يقال تكبر وعند عدمها يقال في نفسه
كبر فالاصل هو خلق النفس الذي هو الاسترواح والركون الى رؤية النفس
فوق المتكبر عليه فهو يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه فارق العجب
فانه لا يستدعي غير المعجب حتى لو فرض انفراده دائما امكن ان يقع منه العجب
دون الكبر ومجرد استعظام الشيء لا يقتضي التكبر الا ان كان ثم من يرى انه
فوقه **ومنها** يتعين علاج القلب ايضا علاج كل علة ان يكون
بضدها وعلة العجب الجهل المحض كما علم مما مر في حده وشفاؤه النظر الى
ما ينكره احد وهو ان الله هو المتفرد لك على نحو العلم والعمل والمنعم عليك
بالتوفيق الى حيازته وبجعلك ذا نسب او مال او جاه فكيف تعجب بما ليس
اليه ولا منه وكونه محل ذلك لا يجدي شيئا لان المحل لا مدخل له في الايجاد
والتحصيل وكونه سببا فيه تزول ملاحظته له اذ اتا مل ان الاسباب لا تاثير
لها انما التاثير لموجدها والمنعم بها فينبغي ان لا يكون اعجابه الا بما اسداه اليه
الحق واجراه علي ... دون غيره من مزايا جوده وكرمه مع عدم سابقة
استحقـ... منه لذلك كان قال ما علم ... صفات محموده باطنة مما آثرني بذلك
... له تلك الصفات ايضا من خلقه على الغامر على ان من انطوى على خاتمته
وما قبته عن نفسه كيف يسوغ له عجب باي نوع فرض من انواعه فانه لا عبد من ابليس

ف

لوالعليم في سمن

ولا اعلم من بلعام باعورا في زمنه ولا اقرب ولا اشفق من ابي طالب على نبينا
ولا اشرف من الجنة ومكة وقد علمت ما وقع لاوليك من خاتمة السوء
والعياذ بالله وما وقع لآدم في الجنة ولكفار مكة فيها فاحذر ان تعجب
او تغتر بنسب او علم او محل او غير ذلك بذا الكل ان كنت معجبا بامر حق
فكيف وكثيرا ما يقع الاعجاب بباطل قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله
فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقد اخبر صلى الله عليه وسلم
انه هذا يغلب الى آخر هذه الآية اذ جميع اهل البدع والضلال انما اصروا
عليها لعجبهم بآرائهم الفاسدة ولذلك هلكت الامم السابقة لما افترقوا
فرقا واعجب كل برايه كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
الى ان ذلك كان مقتا واستدراجا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي
لهم ان كيدي متين

ذكر التواضع

خاتمة

قد بان لك ذم الكبر والاختيال والعجب
وآفات ذلك وقبايحه وكل ذلك يستدعي ذكر فضايل التواضع وغاياته
الرفيعة فان الاشياء انما تعرف باضدادها اخرج مسلم وابو داود وابن ماجة
ان الله تعالى اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغي احد على
احد ومسلم والترمذي ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا
وما تواضع احد لله الا رفعه الله وابن ابي الدنيا التواضع لا يزيد العبد
الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم
الله والصدقة لا يزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله عز وجل والطبراني
بسند حسن طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسالة وانفق
مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة
طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس
شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله والخرايطي
اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وابن ماجة وابن حبان في
صحيحه والحاكم من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله في عليين وفي
رواية درجة في اعلى عليين ومن [illegible] على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله
في اسفل سافلين وابو نعيم وابن ما[illegible] ان الله تعالى اوحى الي ان تواضعوا
ولا يبغي بعضكم على بعض والطبراني من تواضع لاخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع

الامة

يرفعكم الله

عليه

عليه وصغر الله وفي رواية لهم بسند صحيح اياكم والكبر فان الكبر يكون في الرجل
وعليه العباءة والطبراني والبيهقي ان من التواضع الرضا بالدون من شرف
المجالس وابو نعيم تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبار الله ويخرجوا من
الكبر والطبراني وابن عساكر صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا
يعجز عنه فيعينه عليه اخوه المسلم والطبراني عليكم بالتواضع فان التواضع
في القلب والديلمي بن مسلم مسلما فلرب متضاعف في اطمار لو اقسم على الله لابره
وابو نعيم والبيهقي ما استكبر من اكل معه خادمه وركب الحمار بالاسواق
واعتقل الشاة فحلبها والطبراني بسند حسن ما من آدمي الا في راسه حكمة بيد
ملك فاذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته واذا تكبر قيل للملك ضع حكمته
وابو نعيم من تواضع لله رفعه الله وابن منده البس الخشن الضيق حتى لا يجد
العز والفخر فيك مساغا واحمد والترمذي والحاكم البذاذة من الايمان اي ترك
زينة الثياب وايثار رثها تواضعا لله تعالى والترمذي والحاكم من ترك اللباس
تواضعا لله تعالى وهو يقدر عليه دعاه يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره
من اي حلل الايمان شاء يلبسها وعبد بن حميد والطبراني والضيا التؤدة والاقتصاد
والسمت الحسن جزء من اربعة وعشرين جزء من النبوة وابو داود والحاكم والبيهقي
التؤدة في كل شيء خير الا في عمل الآخرة والطبراني التاني من الله والعجلة
من الشيطان وابو الشيخ يا عائشة تواضعي فان الله عز وجل يحب المتواضعين
ويبغض المتكبرين وابن منده وابو نعيم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه
الله وابن النجار من تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن ذكر الله
احبه الله وابو نعيم من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه ضعيف وفي اعين
الناس عظيم ومن تكبر وضعه الله فهو في اعين الناس صغير وفي نفسه كبير
حتى لهو اهون عليهم من كلب او خنزير وابو الشيخ من تواضع لله تخشعا لله
رفعه الله ومن تطاول تعظما وضعه الله والناس تحت كنف الله يعملون
اعمالهم فاذا اراد الله عز وجل فضيحة عبد اخرجه من تحت كنفه فبدت ذنوبه
والديلمي التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وابو نعيم
قا[illegible] الله تعالى ان [illegible] ولم يتكبر في ارضي رفعته حتى اجعله
[illegible] عليين وابن صصري ما من آدمي الا وفي راسه حكمة موكل بها ملك فان
تواضع رفعه الله وان ارتفع قمعه الله والكبرياء رداء الله فمن نازع الله قمعه

وابو نعيم والديلمي ما من ادمي الا وفي راسه حكمة اي وهي بفتح المهملة والكاف
ما يجعل في راس الدابة كاللجام ونحوه بيد ملك فاذا تواضع رفعه الله بها وقال
ارتفع رفعك الله واذا رفع راسه جذبه الى الارض وقال اخفض خفضك الله
وابن صصري ما من عبد الا في راسه حكمة بيد ملك فاذا تواضع رفع بها وقال ارتفع
رفعك الله وان رفع نفسه جذبه الى الارض وقال اخفض خفضك الله والخرائطي
وحسن بن سفيان وابن لال والديلمي ما من ادمي الا وفي راسه سلسلتان سلسلة
في السماء السابعة وسلسلة في الارض السابعة واذا تواضع رفعه الله بالسلسلة الى
السماء السابعة واذا تجبر وضعه الله بالسلسلة الى الارض السابعة وابن عساكر
من رفع راسه في الدنيا قمعه الله يوم القيمة ومن تواضع في الدنيا بعث الله اليه ملكا
يوم القيمة فانتشطه من بين الجمع فقال ايها العبد الصالح يقول الله عز وجل الي الي فانك
ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وابو نعيم من كان حسن الصورة في حسب لا
يشينه متواضعا كان من خالص الله يوم القيمة والخطيب لكن اورده ابن الجوزي
في الموضوعات التواضع ان يشرب الرجل من سؤر اخيه ومن شرب سؤر اخيه
رفعت له سبعون درجة ومحيت عنه سبعون خطيئة وكتب له سبعون حسنة وابو
علي الذهبي وابن النجار من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء
وجهه كان حقا على الله ان يدخره عبقري الجنة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن طارق
قال خرج عمر رضي الله عنه الى الشام ومعنا ابو عبيدة فاتوا على مخاضة وعمر على
ناقة له فنزل وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه واخذ بزمام ناقته فخاض فقال ابو عبيدة
يا امير المؤمنين انت تفعل هذا ما يسرني ان اهل البلد استشرفوك فقال اوه ولم
يقل هذا غيرك ابا عبيدة جعلته نكالا لامة انا كنا اذل قوم فاعزنا الله بالاسلام
فمهما نطلب العز بغير ما اعزنا الله به اذلنا الله والفرج البغوي وابن قانع والطبراني
والبزار طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل
الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وفي حديث انه كان صلى الله عليه وسلم
عندنا بقباء وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من
عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله
ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله رواه البزار
دون قوله ومن اكثر ذكر الله احبه الله ولم اره بقباء قال شيخ الاسلام زكريا في
النوافح قال الذهبي انه خبر منكر رواه الطبراني في الاوسط من حديث عائشة

قالت

قالت اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه لبن وعسل الحديث وفيه اما اني لا
ازعم انه حرام الحديث ورفعه ومن اكثر ذكر الموت احبه الله روى المرفوع منه احمد وابو يعلى
من حديث ابي سعيد وروى قوله من تبذل افقره الله وذكرا فيه قوله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وفي
آخر كان صلى الله عليه وسلم وفي نفر من اصحابه في بيت ياكلون فقام سائل على الباب وبه
زمانة يكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال اطعم فكان
رجلا من قريش كره ذلك واشمأز منه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة كذا في
الاحياء قال شيخ الاسلام الزين العراقي لم اجد له اصلا والموجود حديث اكله صلى الله
عليه وسلم مع مجذوم رواه ابو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجة وفي آخر اذا
اهدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك
تواضعا فذلك من صفوة الله روى الطبراني نحوه موقوفا على ابن مسعود وفيه مختلف
فيه وفي آخر اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على
الله والتواضع والزهد في الدنيا رواه الطبراني والحاكم بلفظ اربع لا يصبن الا بعجب
الصمت وهو اول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الاسناد
واعترض بان فيه من قال ابن حبان في حقه انه يروي الموضوعات ثم روى له هذا الحديث
وفي آخر كان صلى الله عليه وسلم يطعم فجاءه رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس
الى احد الا قام من جنبه فاجلسه صلى الله عليه وسلم الى جنبه كذا في الاحياء واعترض
بنحو ما مر آنفا وفي حديث آخر لكنه غريب انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ما لي ارى عليكم
حلاوة العبادة قال وما حلاوة العبادة قال التواضع وفي آخر غريب ايضا اذا رايتم
المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم
مذلة وصغار وقال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال
انتعش رفعك الله وان تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض وقال
اخسأ اخساك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من
الخنزير وقالت عائشة افضل العبادة التواضع وقال الفضيل التواضع ان
تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وكان سليمان بن داود صلى
الله عليهما وسلم اذا اصبح يتصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجي الى المساكين فيقول
[illegible] مع مسكين وقال احسن التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا
رايت له عليك فضلا وقال مجاهد [illegible] الله الجودي بالسفينة لانه تواضع اكثر
[illegible] وكذا احرا الاستاذ بتعبده صلى الله عليه وسلم فيه لمزيد تواضعه على غيره واختص الله

الا من يحب

لا

مساكين

قلب نبينا صلى الله عليه وسلم يتميز على سائر الخلق لانه فاقهم في التواضع قال
بعضهم رأيت عند الصفا رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان يعنفون الناس ثم رأيته
ببغداد حافيا حاسرا طويل الشعر فقلت له ما فعل الله بك قال ترفعت في موضع
يتواضع الناس فيه فوضعني الله حيث يترفع الناس **الكبيرة**
الخامسة الغش السادسة النفاق السابعة البغي الثامنة الاعراض
عن الخلق استكبارا واحتقارا لهم التاسعة الخوض فيما لا يعني العاشرة
الطمع الحادي عشر خوف الفقر الثاني عشر سخط المقدور الثالث عشر
النظر الى الاغنياء وتعظيمهم لغناهم الرابع عشر الاستهزاء بالفقراء لفقرهم الخامس عشر
الحرص السادس عشر التنافس في الدنيا والمباهاة بها السابع عشر التزين
للمخلوقين بما يحرم التزين به الثامن عشر المداهنة التاسع عشر حب المدح
بما لا يفعل العشرون الاشتغال بعيوب الخلق عن عيوب النفس الحادي والعشرون
نسيان النعمة الثاني والعشرون الحمية لغير دين الله الثالث والعشرون ترك الشكر الرابع
والعشرون عدم الرضا بالقضاء الخامس والعشرون هوان حقوق الله تعالى واوامره
على الانسان السادس والعشرون سخريته بعباد الله تعالى وازدراؤه لهم واحتقاره
اياهم السابع والعشرون اتباع الهوى والاعراض عن الحق الثامن والعشرون
المكر والخداع التاسع والعشرون ارادة الحيوة الدنيا الثلثون معاندة الحق
الحادي والثلثون سوء الظن بالمسلم الثاني والثلثون عدم قبول الحق اذا جاء
بما لا يهواه وجاء على يد من يكرهه ويبغضه الثالث والثلثون فرح العبد بالمعصية
الرابع والثلثون الاصرار بالمعصية الخامس والثلثون محبته ان يحمد بما لم يفعله
من الطاعات السادس والثلثون الرضا بالحيوة الدنيا والطمأنينة اليها السابع
والثلثون نسيان الله تعالى والدار الآخرة الثامن والثلثون غضب العبد
لنفسه وانتصاره لها بالباطل واعلم ان التصريح بكون جميع هذه المذكورات
من الخامسة الى هنا مع ما فيها من التداخل الكثير كبائر باطنة وقع في كلام بعض ائمتنا
المتأخرين ممن جمع بين الفقه والمعرفة والعلم والعمل وهداية السالكين وتربية
المريدين والكرامات الظاهرة والاحوال والاخلاق العلية المتكاثرة وقال
نداولها واما كبائر الباطن فيه [illegible] معرفتها ليعالج زوالها لان من كان
في قلبه مرض منها لم يلق الله بقلب سليم ومن الامراض التي يعقدونها ويتعين الكفر
والعناد بالبدعة والنفاق والكبر والفخر والخيلاء والحسد والغل والحقد والبغي
والعجب

والغضب لغير الله والغبط لغير الله والرياء والسمعة والغش والبخل والاعراض عن
عن الحق الى آخر ما قدمته ثم قال عقبه وامثال هذا يأثم العبد على هذه اعظم مما يأثم
على الزنا والسرقة وشرب الخمر ونحوها من كبائر البدن وذلك لعظم مفسدتها وسوء اثرها
ودوامه فان آثار هذه الكبائر ونحوها يدوم بحيث يصير حالا وهيئة راسخة في القلب
بخلاف آثار معاصي الجوارح فانها سريعة الزوال تزول بالتوبة والاستغفار و
الحسنات الما... صاحب المشكوة قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب والقلب ملك الاعضاء
وهي جنوده وتابعة له فاذا فسد بالكبائر فسدت الجنود كلها كما قال ابو هريرة رضي الله عنه
القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك
خبثت جنوده فمن اعطي قلبا سليما من هذه الامراض فليحمد الله تعالى ومن وجد بقلبه
مرضا من هذه الامراض وجب ان يعالجه حتى يزول فان لم يعالجه اثم وانما يأثم من هذه
الامراض على ما نواه وقصد بقلبه دون ما خطر بقلبه او سبق عليه لسانه وهمه انتهى
وتسمية جميع المذكورات كبائر انما تليق بطريقة اهل المعارف والاخلاق و
التصوف الذين منهم هذا الامام فلذا جرى على ذلك بخلاف طريقة كلام الشافعية
اهل مذهبه نعم فيها ما هو من الكبائر كالحسد والحقد والرياء والسمعة والكبر و
العجب وغيرها مما مر الكلام فيه وكذا الكثير منها لا يبعد القول بانه كبيرة كما ستعلم
مما اورده من الاحاديث الدالة على ما فيه ذلك من الوعيد الشديد نعم البغي بالمعنى
المصطلح عليه عند الفقهاء صغيرة لا كبيرة كما صرحوا به وسيأتي الكلام على بعض منها
في محاله كالبخل والشح في الكلام على ترك الزكوة وكسوء الظن في الكلام على الغيبة
ومر في هذا ايضا بان الفرح بالدنيا وام البغوي في تهذيبه فنقل ذلك الامام اخذ
ما مر عنه ثم زاد انه كبيرة لانه يؤدي الى قبائح يعظم ضررها ويضطرم شررها اذ من الواضح
ان محل حرمة الفرح والفخر بها ان كان من حيث الخيلاء والفخر والتكبر والاستطالة
على الاقران ونحو ذلك من المفاسد والقبائح اما الفرح بها ليستتر بها عرضه ويصون
بها ماء وجهه ووجه عياله عن التطلع لما في ايدي الناس او ليواسي منها المحتاج
فهذا فرح محمود قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ثم اصل
هذه ...كورات كلها سوء الخلق وف... القلب فلنشير الى بعض ما جاء فيه ثم بعض
ما جاء فيها من ذلك فنقول اخرج ال... ... والحاكم سوء الخلق يفسد العمل
كما يفسد الخل العسل وابن منده سوء الخلق شوم وطاعة النساء ندامة وحسن الملكة

ان في الجسد الحديث

تمام والخطيب سوء الخلق شؤم وخياركم احسنكم خلقا واحمد اذا سمعتم بجبل
زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا فانه يصير الى
ما جبل عليه والخطيب ان لكل شيء توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب
من ذنب الا وقع فيما هو شر منه والصابوني ما من ذنب الا له رجع الى ما هو شر منه واحمد
والطبراني وابو نعيم الشؤم سوء الخلق والخرائطي لو كان سوء الخلق رجلا يمشي
في الناس لكان رجل سوء وان الله تعالى لم يخلقني فحاشا والديلمي وابن السني
وابو نعيم من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه ومن لاحى الرجال ذهبت
كرامته وسقطت مروته والترمذي وابن ماجه لا يدخل الجنة سيء الخلق والبيهقي
الناس معادن والعرق دساس وادب السوء كعرق السوء والعسكري بسند
صحيح ان الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وكان من دعائه صلى الله
عليه وسلم في افتتاح صلاته اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها
الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وفي احاديث كثيرة في
ذلك منها ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة وانه يدرك بحسن الخلق
درجة الصائم القائم ودرجات الآخرة وشرف المنازل وان سوء الخلق
ذنب لا يغفر وان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم وان حسن الخلق
تذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وانه يمن وان اقرب الناس منه صلى الله عليه وسلم
مجلسا يوم القيمة احاسنهم اخلاقا وان حسن الخلق خلق الله الاعظم وان افضل
المؤمنين ايمانا احاسنهم اخلاقا وانه افضل الاعمال واثقل ما يوضع في الميزان
قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم وهو ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك واخرج الحاكم والديلمي ان ابليس يقول ابغوا
من بني آدم البغي والحسد فانهما يعدلان عند الله الشرك والخرائطي اياكم والبغضاء
فانها الحالقة والطبراني يا معشر من اسلم ولم يدخل الايمان في قلبه لا تذموا المسلمين
ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يطلب عورات اخيه يهتك الله ستره ويبدي عورته ولو
كان في ستر بيته وابو يعلى والبيهقي يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان
الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا [illegible]هم فانه من يتبع عثرة اخيه المسلم يتبع
الله عثرته ومن يتبع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته قيل يا رسول الله وهل
على المؤمنين ستر قال ستور الله على المؤمن اكثر من ان تحصى ان المؤمن ليعمل الذنب

ويهتك

فيهتك عنه ستراً ستراً حتى لا يبقى عليه منه شيء فيقول للملائكة استروا على عبدي من الناس
فانهم يعيرون ولا يغيرون فتحف عليه الملائكة باجنحتها يسترونه فان تتابع في الذنب
قالت الملائكة يا ربنا انه قد غلبنا واقذرنا فيقول للملائكة تخلوا عنه فلو عمل ذنبا
في بيت مظلم في ليلة مظلمة في جحر ابدى الله عنه وعن عورته والديلمي حبك الشيء
يعمي ويصم والحاكم والخطيب اذا كان يوم القيامة دعى الله بعبد من عبيده فيقف بين يديه
فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله وابن النجار من اساء باخيه الظن فقد اساء بربه ان
الله يقول اجتنبوا كثيرا من الظن وابن ماجة فاذا ظننتم فلا تحققوا واذا حسدتم
فلا تبغوا واذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا واذا وزنتم فارجحوا والطبراني اعرضوا
عن الناس الم تر انك ان ابتغيت الريبة في الناس افسدتهم او كدت تفسدهم وابن
قانع وابن المبارك الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه اقدام العلماء الطمع والطبراني
تعوذوا بالله من ثلث من طمع حيث لا مطمع ومن مطمع يرد الى طبع ومن طمع يرد الى مطمع
تعوذوا بالله من طمع يهدي الى طبع وطمع يهدي الى مطمع واحمد والطبراني والحاكم
استعيذوا بالله من طمع يهدي الى طبع ومن طمع يهدي الى غير مطمع ومن مطمع حيث لا
مطمع والطبراني اياكم والطمع فانه الفقر الحاضر واياكم وما يعتذر منه وابن عساكر قلب
الشيخ شاب في حب اثنين طول الامل وحب المال وابو نعيم وابن الحاكم الا تعجبون
من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت
ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي وظننت اني واضعه حتى اقبض
ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت يا بني ادم ان كنتم تعقلون
فعدوا انفسكم في الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وابن
عدي اخوف ما اخاف على امتي الهوى وطول الامل والبخاري لا يزال قلب الكبير
شابا في اثنين في حب الدنيا وطول الامل وابو الشيخ قال عز وجل لولا ان الذنب خير
لعبدي المؤمن من العجب ما خليت بين عبدي المؤمن وبين الذنب والديلمي لولا ان المؤمن
يعجب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهم به ولكن الذنب خير من العجب والدارقطني ليس
بالخبر ان يقتضي العبد القول بلسانه والعجب في قلبه وابو الشيخ شرار امتي المعجب في دينه
المرائي بعمله المخاصم بحجته الرياء شرك وابو نعيم من حمد نفسه على عمل صالح فقد ضل شكره
وحبط عمله والديلمي ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء والحاكم
ينصب لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة والشيخان وابو داود والنسائي ان الغادر
ينصب له لواء يوم القيامة فيقال الا هذه غدرة فلان بن فلان والطيالسي واحداث

لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به عند استه وأحمد والشيخان عن أنس وأحمد ومسلم
عن ابن مسعود ومسلم عن ابن عمر لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة ومسلم عن عمر
إذا جمع الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر
غدرته ومسلم عن أبي سعيد لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته
ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة والخرائطي لواء الغادر يوم القيامة عند استه
ومسلم عن أبي سعيد لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة وأحمد وابن أبي [illegible] لن يهلك الناس
حتى يعذروا من أنفسهم والبيهقي المكر والخديعة في النار وأبو داود المكر والخديعة
والخيانة في النار والترمذي ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به وأبو داود من خبب زوجة
امرئ أو مملوكه فليس منا وأبو داود والحاكم ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو
عبدا على سيده والطبراني وأبو نعيم من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار
والرافعي ليس منا من غش مسلما أو ضره أو ماكره والترمذي لا يدخل الجنة خب أي
لئيم ولا بخيل ولا منان وأبو نعيم من غش مسلما في أهله وجاره فليس منا وأحمد
والبيهقي من خبب خادما على أهلها ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا والبزار
من خبب عبدا على مولاه فليس منا والسجزي إياكم والهوى فإن الهوى يصم ويعمي
والطبراني وأبو نعيم ما تحت ظل سماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من
هوى متبع وأبو الشيخ من اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد أتاه فلم يقبل منه
لم يرد على الحوض غدا والديلمي ستة أشياء تحبط الأعمال الاشتغال بعيوب
الخلق وقسوة القلب وحب الدنيا وقلة الحياء وطول الأمل وظالم لا ينتهي
وأبو الشيخ وابن عساكر مرسلا ثمانية أبغض خلق الله إليه يوم القيامة
السقارون وهم الكذابون والخيالون وهم المستكبرون والذين يكثرون البغضاء
لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تخلقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله
كانوا بطاء وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا والذين لا يشرف
لهم طمع من الدنيا إلا استحلوه بأيمانهم والمشاؤون بالنميمة والمفرقون بين
الأحبة والباغون البراء الدحضة (أي الزلة) أولئك يقذرهم الله عز وجل وابن عساكر
ألا أنبئكم بشر الناس من أكل وحده ومنع رفده وسافر وحده وضرب عبده
ألا أنبئك بشر من هذا من يبغض [illegible] ويبغضونه ألا أنبئك بشر من هذا من
لا يخشى شره ولا يرجى خيره [illegible] من هذا من باع آخرته بدنيا غيره ألا [illegible]
بشر من هذا من أكل الدنيا بالدين وأبو نعيم من لم يقبل العذر من محق أو مبطل

لم يرد

لم يرد على الحوض وابن عدي وابو نعيم والبيهقي والخطيب وابن عساكر وابن النجار
ابن آدم عندك ما يكفيك وانت تطلب ما يطغيك ابن آدم لا بقليل تقنع ولا من كثير
تشبع ابن آدم اذا اصبحت معافى في جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا
العفا والديلمي اذا اراد الله بعبد خيرا ارضاه بما قسم له وبارك له فيه وهناد والبيهقي
اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم
واحمد والشيخان [illegible] نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل
منه والترمذي الحكيم والديلمي اذا اراد الله بعبد خيرا جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه
واذا اراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه وابن لال انما يكفي احدكم ما قنعت به نفسه
وانما يصير الى اربعة اذرع في شبر وانما يرجع الامر الى الآخرة واحمد وابن عساكر
ان احبكم الي واقربكم مني من لقيني على مثل الحالة التي فارقني عليها والديلمي خير المؤمنين
القانع وشرهم الطامع وابن شاهين قال غريب وابن عساكر كان نبي من بني اسرائيل جبري
تصنع امه فترويه فاذا فطمته فارقته الغنم ثم لم يشبع فاوحى الله اليه ان مثل هذا
كمثل قوم ياتون من بعدكم يعطى الرجل منهم ما يكفي الامة والقبيلة ثم لا يشبع ونعلم
شرار امتي اهل [illegible] الى النار الا قليل من امتي الذين اذا اكلوا لم يشبعوا واذا
جاعوا لم يستغنوا وابو نعيم من سخط رزقه وبث شكواه ولم يصبر لم يصعد له عمل
ولقي الله تعالى وهو عليه غضبان وابو يعلى والخطيب وابن عساكر من قل ماله وكثر عياله
وحسنت صلاته ولم يغتب المسلمين جاء يوم القيامة وهو معي كهاتين والترمذي وابن
سعد والحاكم وصححه لكن تعقب يا عائشة ان اردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا
كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه وابن عساكر
ان الله عز وجل يقول احب عبادة عبدي الي النصيحة واحمد ومسلم وابو داود والنسائي
وابو عوانة وابن خزيمة وابن حبان والبغوي والباوردي وابن قانع وابن نعيم
والبيهقي عن تميم الداري والترمذي وحسنه والنسائي والدارقطني عن ابي هريرة
واحمد والطبراني عن ابن عباس وابن عساكر عن ثوبان ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة
المسلمين وعامتهم وابن [illegible] من جاء يوم القيامة بخمس لم يصد وجهه عن الجنة النصح
لله ولدينه ولكتابه ولرسوله [illegible] والدارقطني والديلمي لا يزال المؤمن
[illegible] من دينه ما محض اخاه النصيحة واحمد [illegible] سلب التوفيق ومسلم
والنسائي من قتل تحت راية عمية [illegible] عصبية ويغضب للعصبية فقتلته جاهلية

فقره

وأبو داود ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من
مات على عصبية والبيهقي من أهوى الناس منزلة من أذهب آخرته بدنيا غيره وفي
رواية إن أشر الناس ندامة وفي أخرى إنه من شر الناس منزلة يوم القيامة والترمذي
من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط
الله وكله الله إلى الناس والبيهقي مرسلا ثلث خلال من لم تكن فيه واحدة منهن
كان الكلب خيرا منه ورع يحجزه عن محارم الله أو حلم يرد به جهل جاهل أو حسن خلق
يعيش به في الناس وأبو الشيخ والطبراني ثلاث لازمات لأمتي سوء الظن
والحسد والطيرة فإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فاستغفر الله وإذا تطيرت
فامض وفي رواية مرسلة ثلثة لم تسلم منها هذه الأمة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم
بالمخرج منها إذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ وإذا تطيرت فامض
والبيهقي ثلث ليس لأحد من الناس فيهن رخصة بر الوالدين مسلما كان أو كافرا والوفاء
بالعهد لمسلم كان أو كافر وأداء الأمانة مسلما كان أو كافرا وابن ماجه ثلاث أنا خصمهم
يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه
ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوفه رواه أحمد والبخاري وغيرهما تنبيهات
منها قد علم مما مر ومما هو مقرر معلوم أن الشيطان هو عدو الإنسان المبين وأن
أشرف ما في الإنسان قلبه فهو أعني الشيطان لا يقنع من الإنسان بغير دخول حرمه
بل لا مقصد له بطريق الذات إلا إفساد ذلك الأشرف فلذلك وجب وجوبا
عينيا على كل مكلف حماية قلبه عن إفساد الشيطان لكن لا يتوصل لذلك إلا بمعرفة
مداخله وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به واجب فحينئذ يجب معرفة مداخله وهي
صفات العبد وهي كثيرة ومن أعظمها الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا
على شيء أعماه حرصه وأصمه كما قال صلى الله عليه وسلم في الخبر السابق حبك الشيء يعمي ويصم
فنور البصيرة هو الذي يدرك تلك المداخل فإذا أعماه الحرص والحسد لم يبصر فحينئذ
يجد الشيطان فرصة أي فرصة ومدخلا أي مدخل وقد روي أن نوحا وجد معه في
السفينة فقال لم دخلت قال لأصيب قلوب أصحابك حتى يكونوا معي ولا يكونوا
معك إلا أبدانهم قال اخرج منها يا عدو الله فإنك رجيم فقال إبليس خمس أهلك
بهن الناس وسأحدثك بثلث منها دون اثنين فأوحى الله لنوح صلى الله عليه وسلم
مره يحدثك بالاثنين ولا حاجة لك في الثلث فقال ما الاثنان فقال هما اللتان لا
تكذباني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما وبالحرص

بالحسد

ابـ

اصبت حاجتي من ادم فانه ابيح له الجنة كلها الا الشجرة واحدة فلم يصبر عنها ومن
اعظمها الكبر الغضب والشهوة فبالغضب يضعف العقل فيلعب الشيطان بالغضبان
كما يلعب الصبي بالكرة وروي ان ابليس استشفع بموسى صلى الله عليه وسلم الى ربه ان
يتوب عليه فشفع فقال يا موسى انه يسجد لقبر ادم كما علمه فقال بعد ان اظهر الغضب لم
اسجد له حيا فكيف اسجد له ميتا لكن لك علي حق شفاعتك لي فاذكرني عند ثلث لا اهلكك
فيهن اذكرني حين تغضب فاني اجري منك ۷ الدم وحين تلقى الزحف فاني اذكر ابن آدم
حينئذ ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة اجنبية فاني رسولها اليك
ورسولك اليها وقال له بعض الانبياء باي شيء تغلب ابن آدم قال اخذه عند الغضب
وعند الهوى وقيل له اي اخلاق بني ادم اعون لك قال الحدة اي المذمومة حتى لا تنايف
ما بيه مدحها ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ومن
اعظمها ايضا حب القلب زينة الحيوة الدنيا وما يرجع اليها فيبيض الشيطان فيه ويعشش
ويفرخ ويبيح من الملاهي والغواية عن الله تعالى واياته ورسوله وسننه ما يزين لمن
البقا عليه الى ان ياتيه الموت وهي على تقصر وغفلة والتفات لغايتي الى التزيد البطالات
فربما ختم له بسوء والعياذ بالله تعالى ومن اعظمها محبة الاكل والشرب اذا الشبع
ولو من حلال طيب يقوي الشهوات وهي اسلحة الشيطان ومن ثم راه يحيى بن زكريا
صلى الله على نبينا وعليهما وسلم ومعه معاليق من كل شيء فساله عنها فقال هي الشهوات
التي اصيب بها ابن آدم فقال هل لي فيها شيء فقال ربما شبعت فثقلناك
عن الصلوة والذكر قال وهل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من
طعام ابدا قال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن اعظمها الطمع الكفر
لانه اذا غلب على قلب لم يزل الشيطان يحسن التزين والتصنع للمطموع فيه بانواع
الرياء والتلبيس حتى يصير كانه الهه فلا يزول يتفكر في حيل التودد والتحبب اليه
التوصل الى ذلك بكل ما يرضيه وان اغضب الله كالمداهنة له واقراره على منكر
محرم ومنها العجلة وترك التثبت في الامور لقوله تعالى وكان الانسان
عجولا وفي حديث العجلة من الشيطان والتانية من الله وانما كانت العجلة من
الشيطان لانه عندها يروج شره على الانسان من حيث لا يشعر بخلاف من تمهل
فانه عند الاقدام على عمل يريده فان [illegible] له بصيرة به ومن لم يحصل تلك البصيرة
[illegible] ينبغي الاستعجال اللهم الا في واجب [illegible] فوري لهذا الاسراع للتمهل فيه ومن
اعظمها المال اذ ما زاد على الحاجة [illegible] القوت مستقر الشيطان فان من ليس معه

مجرى ظ

ذلك الزايد قلبه فارغ فلو وجد ماية دينار بطريق انبعث من قلبه عشر شهوات
كل شهوة منها تحتاج ماية فيحتاج الى تسعماية اخرى وقد كان قبل ظفره بالماية
مستغنيا فاذا وجد المائة ظن انه استغنى وقد بان انه صار محتاجا لتسعماية لشرا
دار واحد واثاث وكل شي من ذلك ليستدعي شيا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع
في هاوية لا آخر لها الا عمق جهنم ولما ضجرت شياطين ابليس من عدم ظفرهم من
الصحابة رضوان الله عليهم بشي وشكوا اليه قال لهم رويدا [illegible] الدنيا
فتصيبون حاجتكم منهم ومنها البخل وخوف الفقر فانه يمنع من التصدق
والانفاق في وجوه الخيرات ويامر بالامساك والتقتير والكنز وعذاب الله الاليم
هو الموعد للكانزين كما نطق بها القرآن العزيز قال سفيان للشيطان سلاح
مثل خوف الفقر فاذا قبل منه ذلك اخذ بالباطل وتكلم بالهوى وظن بربه السوء
ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال وهي
معشش الشيطان وفي حديث انه لما نزل الى الارض قال يارب اجعل لي
بيتا قال الحمام قال واجعل لي مجلسا قال الاسواق قال اجعل لي موذنا
قال المزامير قال اجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي
قرانا قال الشعر قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال
النساء ومنها التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر
اليهم بعين الازدراء والاحتقار وذلك مما يهلك العباد والعلماء فضلا عن
غيرهم فان الاشتغال بالطعن في الناس وذكر نقايصهم مما جبل عليه الطبع
فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق زاد فيه واستكثر وحلاله وفرح به
ظنا انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان دون اتباع المتعصب
له من الصحابة او من بعدهم ولو اعتنى باصلاح نفسه وكان على اخلاق من
يتعصب له لكان ذلك هو الاولى له والاحرى به وظن ان التعصب له بنقص
الناس واحتقارهم يحببه اليه كاذب فانه لو كان حيا لم يتعجب لنفسه وعفا عن
سعة عليه فاتباعه اولى من ذلك منه وكل من يتعصب لامام ولم يسر على سيرته فذلك
الامام هو خصمه ومن جملة المؤتخبين له وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة
وابي لجعه منه اعملي فاني لا اغني عنكم من الله شيا فعليك ان تصلحي باطنك
وظاهرك ولا تشتغلي بغيرك الا حيث يلزمك الشرع بذلك كأن تامر بمعروف
او تنهى عن منكر بعد ان تستكمل الشروط الشرعية ومنها حمل العوام ومن

لم يمارس العلوم على التفكر في ذات الله وصفاته وفي امور لا تبلغها عقولهم
وهذا مضلة لهم لانهم يتشككون به في اصول الدين بل ربما يتخيلوا في الله تعالى
ما هو متعال عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور لغلبة حمقه وقلة
عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبتهم عقلا اشدهم
اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال من العلماء العاملين والائمة المهتدين
ومنها سوء الظن بالمسلمين قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ومن حكم
بشر على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في
اكرامه واطالة اللسان في عرضه وكل هذه مهلكات وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن ابصراه
يكلم زوجته صفية انها ابكما فتطوروا لذلك فقال ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم
واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فاشفق عليهما لحرسهما وعلى امته فعلمهم طريق
الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع في احواله ظنا منه انه لا يظن به الا الخير اعجابا
منه بنفسه وهذه زلة عظيمة اذ اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا بد له من منتقص ومبغض
متعين الاحتراز عن تهمة الاعداء والاشرار فانهم لا يظنون بالناس كلهم الا الشر
وكل من رايته سيئ الظن بالناس طالبا لاظهار معايبهم فاعلم ان ذلك لخبث باطنه وسوء
طويته فان المؤمن يطلب المعاذير لسلامة صدره والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه
فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب وفيها تنبيه على باقيها وبالجملة فليس في الآدمي
صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان وبها يستعين على اضلاله واغوائه فالجا الى الله وفر
اليه من مكائده لعل ان ينجيك منها برحمته واتخذ الذكر سميرا وتذكر الآخرة معينا وظهيرا
وادم ذلك تحفظ ان شاء الله تعالى من ساير تلك المهالك ومنها اذا تاملت
ما ذكرناه واتضح لك جميع ما ذكرناه ظهر لك عظيم ضرر اكثر تلك الكبائر التي سردناها
عند ذلك الامام وان ذلك ليس من تزوده بل اخذه من كلمات الائمة والعلماء الاعلام
فاحذر ان يكون تلبسك او باطنك بشيء من تلك الكبائر فانها تفسد عليك الباطن بل
والظاهر ومنها مر ان جميع تلك الكبائر يرجع فعلها الى سوء الخلق و
تركها الى حسن الخلق وحسنه يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال
القوة الغضبية والشهوية واطاعة كل منهما للعقل مع الشرع ثم هذا الاعتدال اما
ان يكون بجود الهي وكمال فطري واما ان يكون باكتساب اسبابه من المجاهدة والرياضة
بان يحمل نفسه على كل عمل يوجب حسن خلقها وليضاد رسوم طويتها اذ هي لا تالف ربها
ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها وحفظت من شهواتها فالخلوة والعزلة

اولا ليحفظ السمع والبصر عن المالوفات ثم بادمان الذكر والدعا في تلك الخلوة الى ان
يغلب عليه الانس بالله وبذكره فحينئذ يتنعم به في نهايته وان شق عليه في بدايته ورجا ظن من
جاهد لنفسه ادنى مجاهدة بترك فواحش المعاصي انه قد هذبها وحسن خلقها واني له بذلك
ولم توجد فيه صفات الكاملين ولا اخلاق المؤمنين قال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم الى ان قال اولئك هم المؤمنون حقا وقال قد افلح المؤمنون الذين هم
في صلوتهم خاشعون الى ان قال اولئك هم الوارثون وقال التائبون العابدون [illegible] الى وبشر
المؤمنين وقال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر السورة فمن اشكل عليه
حال نفسه فليعرضها على هذه الآيات ونظايرها فوجود جميع هذه الصفات علامات حسن الخلق
وفقد جميعها علامات سوء الخلق ووجود البعض يدل على البعض وقد ارشد صلى الله عليه وسلم
الى مجامع محاسن الاخلاق بقوله المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وبامره باكرام الضيف والجار
وبان المؤمن اما ان يقول خيرا او ليصمت وجاء اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه [illegible]
فانه يلقي الحكمة لا يحل لمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه لا يحل لمسلم ان يروع مسلما انما يتجالس
المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن
الخلق فقال ان يكون كثير الحيا ، قليل الاذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام
كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، وهو برا وصول وقور ، صبور ، رضي ، شكور ، حليم ، رفيق
عفيف ، شفيق ، لا لعان ، ولا سباب ، ولا نمام ، ولا مغتاب ، ولا عجول ، ولا حقود ، ولا بخيل
ولا حسود ، هشاش بشاش ، يحب في الله ، ويبغض في الله ، ويرضى في الله ، فهذا هو حسن الخلق
وفقنا الله للتحلي بحلاه وادام علينا سوابغ افضاله وسوابق قربه والاندراج في سلك اولياية
واحبايه ومواليه آمين

الكبيرة التاسعة والثلثون الامن من مكر الله بالاسترسال في المعاصي مع الاتكال على الرحمة

قال تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون وقال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين
وفي الحديث اذا رايت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه
استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا
فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون اي آيسون من النجاة وكل خير
شديد الحسرة والحزن والخزي لاغترا[illegible]بترادف النعمة عليهم مع مقابلتهم لها
بمزيد الاعراض والادبار و[illegible]من وسع عليه فلم ير انه مكر به فلا عقل له
وقال في قوم لم يشكروا مكرنا بهم ورب الكعبة [illegible]طوا حاجتهم ثم اخذوا وفي الاثر لما مكر

بابليس

بابليس بكى جبرئيل وميكائيل فقال الله عز وجل لهما ما يبكيكما قالا يا رب ما نأمن مكرك فقال
تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري ومثله ثم كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك وفي رواية قلوبنا فقالوا يا رسول الله اتخاف علينا فقال ان القلوب
بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء اي بين مظهري ارادة الخير والشر فهو لهما
اسرع من الريح على اختلاف في القبول والرد والارادة والكراهة وغير ذلك من الاوصاف
وفي التنزيل واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اي بينه وبين عقله حتى لا يدري ما يصنع
قاله مجاهد ويؤيده ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل واختار الطبراني ان معنى
تلك الاحالة اعلام العباد بانه املك لقلوبهم منهم وانه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى
لا يدرك احد شيئا الا بمشيئته تعالى وكما كان صلى الله عليه وسلم يقول ذلك اعني يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك قالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله انك تكثر ان تدعو
بهذا الدعاء فهل تخشى قال وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع
الرحمن اذا اراد ان يقلب قلب عبده قلبه وقد اثنى تعالى على الراسخين في العلم
بقولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب واعلم
ان في هذه الآية دلالة ظاهرة وحجة واضحة لرد ما عليه المعتزلة وحقية ما عليه اهل السنة
من ان الزيغ والهداية بخلق الله تعالى وارادته وبيانه ان القلب صالح لميل الى الخير
والى الشر والى الايمان والى الكفر ومحال ان يميل الى احدهما بدون داعية بل لا بد
لميله لذلك من حدوث داعية وارادته يحدثها الله تعالى فان كانت داعية الكفر فهي
الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين والقسوة والوقر والكنان وغيرها
من الالفاظ الواردة في القرآن وان كانت داعية الايمان فهي التوفيق والارشاد
والهداية والتسديد والتثبيت والعصمة وغيرها من الالفاظ الواردة في القرآن ثم المراد
بالاصبعين في الحديث السابق وفيما روي قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
اذا شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ازاغه هما الداعيتان المذكورتان فتأمل ومما يحذرك
الخوف من المكر استحضار قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان احدكم ليعمل
بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخلها وفي حديث البخاري ان العبد ليعمل بعمل اهل النار وانه من اهل الجنة ويعمل
الرجل بعمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم ولا تتكل على ذلك فان
الصحابة رضوان الله عليهم لما قالوا عند سماع ذلك ففيم العمل يا رسول الله افلا نتكل على
كتابنا قال لهم بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق

بالمعنى فتنبه للتيسير وتأمل ايضا ما قصه الله علينا في قصة بلعام عالم بني
اسرائيل حيث امن المكر فتمتع بالفاني من حطام الدنيا عن الباقي من نعيم الجنة
فاطاع هواه وجعل ما بذل له على ان يدعو على موسى صلى الله عليه وسلم فادلع لسانه
على صدره وصار يلهث كالكلب وسلبه الله الايمان والعلم والمعرفة وكذلك
برصيصا العابد مات بعد عبادته التي لا تطاق على الكفر وكان ابن السقاء
ببغداد من مشاهيرها فضلا وذكاء وقع له مع بعض الاولياء ما دعى عليه
فانتقل به الحال الى القسطنطنية فهوى امراة فتنصر لاجلها ثم مرض فالقي على
الطريق يسال فمر به بعض من يعرفه فساله عن حاله فحكى له فتنته وانه نصراني والان
يريد ان يستحضر حرفا واحدا من القرآن فلا يقدر عليه ولا يمر بخاطره قال ذلك الرائي
له فمررت عليه بعد قليل فرايته محتضرا ووجهه الى الشرق فحولته كلما ادرته وجهه
الى القبلة التفت للشرق ولا زال كذلك الى ان خرجت روحه وكان عنده مؤذن
عليه سيماء الصلاح فراى نصرانية من المنارة فافتتن بها فذهب اليها فامتنعت
ان تجيبه لزنية فقال النكاح فقالت انت مسلم ولا يرضى ابي فقال انا انتصر فقالت
الان تجيبك فتنصر ووعدوه ان يدخلوه عليها من اثناء ذلك اليوم ففي سطح
الحاجة فزلت به قدمه فوقع ميتا فلا هو بدينه ولا هو بها نعوذ بالله من مكره
ونعوذ به منه وبمعافاته من عقوبته وبرضاه من سخطه ومن ثم قال العلماء اذا
كانت الهداية اليه مصروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والارادة
غير معلومة ولا مغالبة فلا تعجب بايمانك وصلاتك وجميع قربك فانها من محض فضل ربك
وجوده فربما سلبها عنك فوقعت في هوة الندم حين لا ينفع الندم تنبيه عد ذلك
كبيرة هو ما اطبقوا عليه لما علمت من الوعيد الشديد الذي فيه بل جاء تسميته اكبر الكبائر روى ذلك
ابن ابي حاتم في تفسيره والبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم سئل ما الكبائر
فقال الشرك بالله والاياس من روح الله والامن من مكر الله وهذا اكبر الكبائر ويحتمل والا اشبه
ان يكون موقوفا وبكونه اكبر الكبائر وصرح ابن مسعود كما رواه عنه عبد الرزاق والطبري
واعلم ان حقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى واما قوله عز قائلا ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين فهو من باب المقابلة على حد وجزاء سيئة سيئة مثلها وتعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك ونحو ومعنى المقابلة انه لا يجوز ان يوصف تعالى بالمكر الا لاجل ما ذكر معه من لفظ
اخر مستند لمن يليق به انتهى وذكر بانه جاء وصفه تعالى به من غير مقابلة في قوله افامنوا مكر
الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون على ان المكر عام يحمل القضاء تعالى في اذ هو لغة

الشرك

السيء يقال مكر الليل اي ستر بظلمته ما هو فيه وتطلق المكر على الاحتيال والخداع
والخبث وبهذا الاعتبار عبر عنه بعض اللغويين بانه السعي بالفساد وبعضهم بانه
صرف الغير عما يقصد بحيلة وهذا الاخير اما محمود بان يتحيل به ان يصرفه الى خير وعليه
يحمل قوله تعالى والله خير الماكرين واما مذموم بان يتحيل به ان يصرفه الى شر ومنه
ولا يحيق المكر السيء الا باهله

الكبيرة الاربعون

اليأس من رحمة الله قال الله تعالى انه لا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون وقال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى
ورحمتي وسعت كل شيء وفي الحديث ان لله مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما
بين السماء والارض انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم فبها
يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الطير والوحوش على اولادها واخر
تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة واخرج الترمذي وحسنه عن انس
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى
يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن
آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم لو اتيتني
بقراب الارض اي بضم القاف وبجواز كسرها اي قريب ملئها خطايا ثم
لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة وعن انس بسند حسن انه
صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو
الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان
في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف واخرج احمد
انه صلى الله عليه وسلم قال ان شئتم انبأتكم ما اول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين
يوم القيامة وما اول ما يقولون له قلنا نعم يا رسول الله قال ان الله عز وجل
يقول للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك
ومغفرتك فيقول قد وجبت لكم مغفرتي وفي الصحيحين قال الله عز وجل انا عند ظن
عبدي بي ان ظن خيرا فله وان ظن شرا فله وانا معه حيث يذكرني الحديث وابو داود
وابن حبان في صحيحه حسن الظن من حسن العبادة والترمذي والحاكم ان حسن الظن
بالله من حسن العبادة ومسلم وغيره عن جابر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته

بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل واحمد وابن
حبان في صحيحه والبيهقي قال الله عز وجل وعلا انا عند ظن عبدي بي ان ظن خيرا فله
وان ظن شرا فله والبيهقي امر الله عز وجل بعبد الى النار فلما وقف على شفتها
التفت فقال اما والله يا رب ان كان ظني بك لحسن فقال الله عز وجل ردوه
انا عند حسن ظن عبدي بي والبغوي ان افضل العبادة حسن الظن بالله يقول الله
لعبده انا عند ظنك بي **تنبيه** عد هذا كبيرة هو ما اطبقوا عليه وهو ظاهر
لما فيه من الوعيد الشديد الذي علمته مما ذكر بل في الحديث الذي مر آنفا التصريح
بانه من الكبائر بل جاء عن ابن مسعود انه اكبر الكبائر

الكبيرة الحادية والثانية والاربعون سوء الظن بالله والقنوط من رحمته

اخرج الديلمي وابن
مردويه في تفسيره انه صلى الله عليه وسلم قال اكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل
وقال عز قائل ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون **تنبيه** عد هذين
كبيرتين متغايرتين لليأس من رحمة الله هو ما وقع للجلال البلقيني وغيره
وكانهم لم ينظروا الى ما بين الثلاثة من التلازم ومن ثم قال ابو زرعة وغ
معنى الآيس القنوط والظاهر انه ابلغ منه للترقي اليه في قوله تعالى وان مسه
الشر فيؤس قنوط انتهى والظاهر ايضا ان سوء الظن ابلغ منهما لانه ياس
وقنوط وزيادة التجويز على الله تعالى اشياء لا يليق بكرمه وجوده وفي تفسير
ابن جرير عن ابي سعيد نحوه فان قلت ينافي هذا اطباق ائمتنا على ان
احسان الظن بالله تعالى مندوب للمريض واختلفوا في الصحيح فقيل الاولى
به تغليب خوفه على رجائه والذي رجحه النووي في شرحه على المهذب ان الاولى
له استواؤهما وقال الغزالي ان امن من القنوط فالرجاء اولى او من المكر
فالخوف اولى قلت الكلام في مقامين احدهما شخص يجوز وقوع الرحمة
له والعذاب فهذا هو الذي تعرض له الفقهاء فان كان مريضا ندب له تغليب
جانب الرجاء وان كان صحيحا اختلفوا فيه كما رايت ثانيهما في شخص آيس من
وقوع شيء من انواع الرحمة له مع اسلامه وهذا هو الذي كلامنا فيه فهذا الياس
كبيرة اتفاقا لانه يستلزم تكذيب النصوص القطعية التي اشرنا اليها ثم هذا
الياس قد ينضم اليه حالة اشد منه وهي التصميم على عدم وقوع الرحمة له وهو القنوط
بحسب ما دل عليه سياق فهو يؤس قنوط وتارة ينضم اليه مع عدم الرحمة له تشديد

عذابه

عذابه كالكفار وهذا هو المراد بسوء الظن هنا فتأمل ذلك فإنه مهم

الكبيرة الثالثة والأربعون تعلم العلم للدنيا

أخرج أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه على شرط الشيخين
أنه صلى الله عليه وسلم قال من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا
من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها وفي مبحث الرياء حديث مسلم وغيره وفيه ورجل
تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم
وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال إنك عالم وقرأت ليقال
قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار والترمذي وقال حديث غريب
وابن أبي الدنيا والحاكم شاهدا والبيهقي من تعلم العلم ليجاري به العلماء أو ليصرف وجوه
الناس إليه فهو في النار ولفظ من تعلم العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء وليصرف
به وجوه الناس أدخله الله جهنم وابنا ماجه وحبان في صحيحه والبيهقي بسند فيه من احتج
به الشيخان وغيرهما ولا التفات لمن شذ فيه لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به
السفهاء ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار وصح بسند فيه انقطاع من تعلم
العلم لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار وابن ماجه بسند رواته ثقات
إن ناسا من أمتي سيتفقهون في الدين يقرؤون القرآن يقولون نأتي الأمراء فنصيب من
دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من قربهم إلا قال ابن الصباح
كأنه يعني الخطايا وأبو داود من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل
الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا قال الحافظ المنذري يشبه أن يكون فيه انقطاع
وعبد الرزاق عن ابن مسعود موقوفا كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها
الكبير وتتخذ سنة فإن غيرت يوما قيل هذا منكر قال ومتى ذلك قال إذا قلت أمناؤكم
وكثرت أمراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت قراؤكم وتفقه لغير الدين والتمست الدنيا بعمل الآخرة
وروي موقوفا أيضا أن عليا ذكر فتنا تكون فقال له عمر رضي الله عنهما متى ذلك يا علي قال إذا
تفقه لغير الدين وتعلم العلم لغير العمل والتمست الدنيا بعمل الآخرة تنبيه عد هذا كبيرة
مغايرة لكبيرة الرياء السابقة هو ما وقع في كلام غير واحد من المتأخرين وكأنهم نظروا
إلى ما في هذا من الوعيد الخاص فأفردوه لذلك ولم ينظروا إلى تلك فشملت هذه وغيرها وبينهما
عموم وخصوص مطلق

الكبيرة الرابعة والأربعون كتم العلم

قال تعالى إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى
من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال ابن عباس